روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا!!

٥٨




ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي
المؤلف
د. نبيل فاروق
معركة الكواكب
● ما الذي يحدث ، لو أن كوكبًا يفوق حضارتنا بملايين المرات قرر يومًا غزونا ؟
● هل ينجح (نور) وفريقه في التصدي لمبعوث (أرغوران) ، الكوكب المقاتل ؟..
● لمن يكون النصر ياترى ؟ لـ (نور) ورفاقه ، أم للمقاتل الأرغوراني (بودون) ، في (معركة الكواكب) ؟
● اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل هذه المرة ، مع (نور) وفريقه .. بل مع كوكب الأرض ..
٥٨
وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : جحيم أرغوران



١ ــ رسول الموت ..

فضاء شاسع ، رَحْب ، لانهائىّ ، تسبح فيه ملايين النجوم ، ومليارات الكواكب ..

ملايين المجرّات تسبح فى سكون وصمت وانتظام ..

بلايين الشموس تجرى فى مستقرٍّ لها ..

ومقاتلة فضائية صغيرة ، تتسع لراكب واحد ، تشقُّ ذلك البحر الإلهىّ المهيب ..

مقاتلة الرائد (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية ..

هكذا يبدأ أوّل مشاهد قصتنا ..

ومن أطراف المشهد ، تدخل إلى الصورة مقاتلة فضائية أخرى ..

مقاتلة تطارد مقاتلة (نور) فى شراسة وإصرار ..

وعلى الرغم من قلّة خبرة (نور) ، فى قيادة ذلك النوع من المقاتلات ، إلّا أنه يبذل أقصى جهده ؛ لمراوغة خصمه ، ومحاورته ، والإفلات منه ، ولكن خصمه لم يكن بالمخلوق الهيّن ..

لقد واصل مطاردة مقاتلة (نور) فى إصرار وعناد ، حتى وضعها أخيرًا فى مرماه ، وغمغم بلغة لامثيل لها على كوكب الأرض ، ولم يسمعها بشر من قبل :

— لافائدة أيها الأرضىّ .. إن أحدًا لم يفلت من (بودون) من قبل .

وأدرك (نور) عقم المحاولة ، إلا أنه واصل الفرار ، والمراوغة ، وقلبه يخفق فى عنف ، وأطرافه تنقبض فى قوة وتوتر ..

ثم ضغط (بودون) ، ذلك المقاتل الفضائىّ الرهيب زرًّا فضيًّا ، فى نهاية عصا القيادة ، التى يتشبث بها ، وانطلقت من مقدمة مقاتلته أشعة أرجوانية ، شقت طريقها نحو مقاتلة (نور) فى سرعة مذهلة ، وأصابتها فى منتصفها تمامًا ..

وانفجرت مقاتلة (نور) ، فى صمت ، وتناثرت أجزاؤها عبر الفضاء الشاسع ، وبرقت عينا (بودون) فى ظفر ، وهو يقول فى حرارة وسخرية :

— لقد انتصر (بودون) .. لقد قتلتك أيها الأرضى .. والآن أنا أمتلك كوكبك .. أمتلك كوكب الأرض كله ..

* * *

مهلًا ..

أهى حقًّا النهاية ؟!..

نهاية (نور) ، ونهاية كوكبنا كله ؟!..

من يدرى ؟..

أليس من الأفضل أن نبدأ بالبداية ؟!..

قد توضح لنا البداية كيف انتهى الأمر على هذا النحو ..

أو قد تزيد الأمر غموضًا ، وتزيدنا حيرة وارتباكًا ..

فالبداية لم تكن هنا ..

لم تكن على سطح كوكبنا ، الذى نعرفه باسم كوكب الأرض ..

بل كانت هناك ..

بعيدًا .. فى الفضاء الشاسع ..

كانت على سطح كوكب ذلك المقاتل (بودون) ..

كوكب (أرغوران) ..

* * *

(أرغوران) .. كوكب فى حجم كوكبنا الأرض ، تقريبًا ، ويتمتع بمناخ مشابه تمامًا ، مع اختلاف جذرىّ فى جغرافيته ، إذ أنه يتكوّن من قارة واحدة ، تحتل ثلث مساحته تقريبًا ، وتمتدّ فى شكل مخروطىّ ، من قطبه الشمالى إلى الجنوبى ، ومحيط واسع شاسع ، يحتل الثلثين الباقيين .

ومنذ مايقرب من مليون عام ، كانت هذه القارّة مقسّمة إلى عدة دول ، كما هو الحال على الأرض ، ثم توصّلت إحدى هذه الدول إلى سلاح رهيب ، أتاح لها السيطرة على القارة كلها ، التى صارت دولة واحدة ، يحكمها إمبراطور واحد ، بيد من حديد ..

ومنذ نصف مليون عام ، دخلت إمبراطورية (أرغوران) عصر التكنولوجيا والفضاء ، فاتسعت أطماع إمبراطورها ، واتجه إلى السيطرة على الكواكب المأهولة ، التى تحيط بها ، حتى صار يحكم إمبراطورية فضائية مخيفة ، تمتد إلى عشرات السنوات الضوئية .

ولقد كانت أطماع أباطرة (أرغوران) ، على مدى الأجيال ، تقتصر على الكواكب التى يمكن لمقاتلاتهم الفضائية بلوغها ، حتى توصّل علماء كوكبهم إلى كشف فضائىّ رهيب ، أتاح لسفنهم الانطلاق بسرعات مذهلة ، تتجاوز — فى بعض الأحيان — سرعة الضوء ، وكشفوا دروبًا ومسارات فى الكون ، أتاحت لهم اختصار المسافات إلى العشر ، أو حتى إلى مايصل أحيانًا إلى واحد على الألف ، من المسافات الحقيقية ..

وهنا قرّر إمبراطور (أرغوران) أن يحتلّ كل الكواكب ، التى يقلّ تقدمها العلمىّ عن (أرغوران) ، فى الكون كله ..

وحينما بدأت قصتنا ، كان دَوْر الأرض قد حان ..

* * *

انزلقت كرة ضخمة ، من معدن لامع صلب ، عَبْر دهليز ضخم ، يبدو وكأنه يمتدّ إلى ما لانهاية ، وهى تشعّ بضوء برتقالىّ هادئ ، ينعكس على جدران الدهليز المصقولة ، فيضفى على حركة الكرة مشهدًا مهيبًا ، وهى تتحرّك بسرعة تكاد تبلغ الألفى كيلومتر فى الساعة الواحدة ، وبداخلها جلس (بودون) ..

كان مظهره وشكله شبيهين بسكّان الأرض ، فيما عدا أن بشرته كانت شديدة الحُمْرة ، تنتشر وتتقاطع فيها عروق زرقاء قاتمة رفيعة ، فى تناقض مخيف ، وبؤبؤ عينيه لم يكن مركزيًا مستديرًا شأن أهل الأرض ، بل طوليًا رفيعًا ، يمتدّ من أعلى قزحيته البنفسجية إلى أسفلها ، على نحو أشبه بعيون الثعابين ، كما كانت عيناه ، ككل سكّان (أرغوران) ، تحمل جفنًا إضافيًا يتيح لهما تجنّب الإضاءة القويّة ..

هذا لأن (أرغوران) كوكب بلا ليل ؛ إذ تشرق عليه شمسان ، لا شمس واحدة ككوكبنا الأرض ، فى تعاقب يجعله يحيا فى نهار دائم ..

وكان (بودون) يجلس داخل الكرة صامتًا ، هادئًا فى حزم وصرامة ، مما يليق بأخطر عملاء المخابرات الفضائية الأرغورانية ، وعيناه المشقوقتان تتابعان — من خلال نافذة صغيرة — انزلاق الكرة ، داخل الدهليز الطويل ، فى برود وصبر ، حتى اقتربت الكرة من فجوة هائلة ، يغمرها ضوء أزرق شديد ، وعَبَرتها بسرعتها الفائقة ، فتحوّل الضوء — فور عبورها — إلى لون أرجوانى داكن ، وتصاعد داخل الكرة صوت رنّان ، يقول بلغة (أرغوران) ، التى لا تشبه أيّة لغة معروفة على وجه الأرض :

— الكوندور (بودون) على الرَّحب والسَّعة .. وجلالة الإمبراطور ينتظره فى قاعته الخاصّة .

غمغم (بودون) فى برود :

— لا بأس .

وفى تلك اللحظة انحرفت الكرة ، داخل دهليز جانبىّ خاص ، يحمل شعار إمبراطور (أرغوران) ، وواصلت طريقها لدقيقة واحدة ، ثم توقفت أمام باب ضخم ، مصنوع من نفس المعدن اللامع ، فهبط منها (بودون) .. بزيّه المكوّن من قطعة واحدة برونزية اللّون ، تتدلّى من ياقتها ، خلف

ظهره ، حرملة حريرية ، ذات لون أرجوانى ، واتجه نحو الباب ، الذى توهّج لحظة ببريق أخاذ ، ثم انفتح على مصراعيه ؛ ليكشف عن قاعة هائلة الحجم ، يسبح فى جوّها أنموذج مجسّم للكون ، بمجرّاته ونجومه ، وفى نهايتها عرش ضخم مهيب ، يجلس فوقه رجل صارم الملامح ، قوى الجسد ، يحمل فوق رأسه تاجًا من معدن فضّىّ مضىء ..

وتركّزت نظرات إمبراطور (أرغوران) على وجه (بودون) ، الذى تقدّم عَبْر القاعة ، فى خطوات ثابتة قوية ، حتى صار على قِيدِ ثلاثة أمتار من العرش الإمبراطورىّ ، فانحنى فى احترام ، وهو يقول :

— المجد والعظمة لإمبراطور الكون العظيم .

أشار الإمبراطور بكفّه فى عظمة ، فاعتدل (بودون) ، ووقف ثابتًا ، وهو يستمع إلى إمبراطوره ، الذى سأله فى هدوء :

— ماذا تحمل من أخبار (جيدون) ؟

أجابه (بودون) فى صلابة :

— لقد استسلم الكوكب كله يافخامة الإمبراطور ، وتمّ ضمه إلى إمبراطوريتكم العظيمة .

ارتسم شىء يشبه الابتسامة ، على شفتى الإمبراطور ، وهو يقول :



وتركَّزت نظرات إمبراطور (أرغوران) على وجه (بودون) ، الذى تقدَّم عبْر القاعة ، فى خطوات ثابتة قوية ..

— عظيم يا (بودون) .. لقد أضفت إلى انتصاراتك انتصارًا جديدًا .

قال (بودون) فى احترام :

— كل هذا بفضل سماحة إمبراطورنا العظيم .

أومأ الإمبراطور برأسه موافقًا ، ثم نهض من فوق عرشه فى عظمة ، وهبط فى درجات السُّلَّم الشفَّاف المضىء ، المقابل له ، فانتحى (بودون) جانبًا فى احترام ، ليفسح الطريق لإمبراطوره ، الذى اتجه فى هدوء نحو ذلك الأنموذج المجسَّم للكون ، وأشار إليه قائلًا :

— لقد اتسعت إمبراطوريتنا ؛ لتشمل نصف الكون تقريبًا يا (بودون) .

غمغم (بودون) :

— وستواصل اتساعها يا فخامة الإمبراطور .

أشار الإمبراطور إلى كوكب صغير ، يسبح وسط مجموعة شمسية بعيدة ، وهو يقول :

— حان الوقت لننتقل إلى هذا الكوكب يا (بودون) .

غمغم (بودون) :

— ما على الإمبراطور إلا أن يأمر .

هزّ الإمبراطور رأسه فى عظمة ، وقال :

— إنها مهمتك القادمة يا (بودون) .

اعتدل (بودون) ، وقويت نبراته ، وهو يقول فى حماس :

— فى خدمة إمبراطورنا العظيم .

عاد الإمبراطور يشير إلى الكوكب ، قائلاً :

— أبحاث علمائنا تؤكّد أن هذا الكوكب ، الذى نُطلق عليه اسم (سيتا ٣) ، يحمل مخلوقات عاقلة ، مفكّرة ، ولكننا لاندرى مدى تقدّمهم العلمىّ والتكنولوجىّ ؛ لذا فسأرسلك إلى هناك يا (بودون) ، ومهمّتك هى جمع أكبر قدر من المعلومات عن هذا الكوكب ، تمهيدًا لغزوه .

عاد (بودون) يكرّر فى حماس :

— فى خدمة إمبراطورنا العظيم .

واصل الإمبراطور حديثه فى عظمة :

— عودتك من هذا الكوكب يتوقّف عليها قرارنا بشأنه يا (بودون) ، فلو أن سكّانه يقلّون عنا فى حضارتهم ، فسنعمل على غزوهم فورًا .. أمّا لو كان العكس ، فستنصرف عنهم .. ولو حدث أنك لم تعُد إلى هنا ، فسنعتبر ذلك مؤشرًا إلى أنهم قد كشفوا أمرك ، وإلى أنهم يفوقوننا قوّة .

قال (بودون) فى صلابة :

— سأعود يافخامة الإمبراطور .

مرّة أخرى ارتسم على شفتى الإمبراطور ذلك الشىء الشبيه بالابتسامة ، وهو يلتفت إلى (بودون) ، قائلاً :

— سفينتك الفضائية تنتظرك أيها المقاتل الإمبراطورىّ الأوّل ، وقرار الغزو ينتظر عودتك بفارغ الصبر ، لنضمّ (سيتا ٣) إلى إمبراطوريتنا الشاسعة .

حمل صوت (بودون) كل قوّته وصلابته وعناده ، وهو يقول :

— سأعود يافخامة الإمبراطور .

ثم انحنى أمام إمبراطوره ، وانطلق ليبدأ مهمّته ، استعدادًا لغزو (سيتا ٣) ..

ولقد كنا نحن نعرف (سيتا ٣) هذا باسم آخر .. باسم (كوكب الأرض) ..

* * *

٢ — الاشتباك ..

« جسم فضائى مجهول ، يخترق دفاعاتنا الفضائية .. » ..

انطلق ذلك التحذير داخل مركز المتابعة الأرضى ، فى إدارة الشئون الفضائية المصرية ، فسرَت موجة من التوتر بين العاملين فيه ، وأسرع اللواء (موسى) مدير الإدارة يراقب شاشات الراصد الفضائى فى قلق ، وهو يغمغم :

— إنه يتجه نحو الأرض فى سرعة مذهلة ، وربما كان نيزكًا ، أو شهابًا ضالًا .

أجابه أحد رجال المركز فى توتر :

— سواء أكان هذا أم ذاك ، فهو يشكّل خطرًا بالغا يا سيّدى ، فهو كبير الحجم ، إلى الحد الذى يكفى لتحطيم رُقعة الأرض ، التى سيرتطم بها تمامًا ، كما أن ارتطامه سينشئ موجة من الارتجاجات ، قد تنهار لها نصف مدن (مصر) .

أومأ اللواء (موسى) برأسه موافقًا ، وقال فى توتر :

— إننا لن نسمح له بعبور غلافنا الجوى بالتأكيد .

ثم ضغط زرًا مقابلًا له ، وهو يقول فى لهجة آمرة صارمة :

— فليستعد مسئولو الدفاع الفضائى .. فسنطلق مدافع الليزر ، من أقمارنا الصناعية الدفاعية ، على ذلك الجسم المجهول ، ونحوّله إلى فتات — بإذن الله — قبل أن يعبُر غلافنا الجوى .

تحرّك الجميع فى سرعة ومهارة ، واتخذ كل منهم موقعه ، واتجهت أنظارهم واهتماماتهم إلى شاشات الرصد ، التى تنقل صورة الجسم الفضائى المتحرّك ، واستعدت أصابعهم لضغط أزرار إطلاق مدافع اللّيزر فى تحفّز ، حتى هتف اللواء (موسى) :

— إطلاق .

انضغطت عشرات الأزرار فى آن واحد ، قبل أن يتلاشى رنين هتافه ، وانتقلت الإشارة فى ثانية واحدة إلى الأقمار الصناعيّة الدفاعيّة ، خارج الغلاف الجوىّ للأرض ، وشقّ الفضاء فيض من أشعة اللّيزر القاتلة ، نحو هدف واحد ..

سفينة (بودون) الفضائية ..

ولكن ذلك الشّلال من أشعة اللّيزر أخطأ هدفه ..

لم يصب خيط واحد منه الهدف قطُّ ..

ليس لأن الرجال القابعين خلف الأزرار تنقصهم الكفاءة ، ولكن لأن الهدف نفسه راوغ فى سرعة مذهلة ، ومال فى دورة واسعة ، متفاديًا كل خيوط الأشعة القاتلة ، ثم عاد إلى مساره الأوّل فى سرعة ، أمام عيون رجال مركز المتابعة ، الذين هتفوا فى ذهول :

— يا إلهى !!.. إن ذلك الجسم يناور فى براعة .. هناك عقل مفكّر ذكىّ يحرّكه .

اضطرب اللواء (موسى) فى شِدَّة ، وغمغم فى ارتياع :

ــ ربّاه .. إذن فهو ليس نيزكًا أو شهابًا .. إنه سفينة فضاء من كوكب آخر .

هتف به أحد رجاله فى توتُّر :

ــ هل نطلق النار مرّة أخرى ياسيِّدى ؟

تردَّد اللواء (موسى) لحظة ، وهو يقول :

ــ كلّا .. الأمر الآن يختلف ، فنحن لا ندرى الهدف من قدوم تلك السفينة الفضائية ، ومن الخطإ أن نبادرها بالعداء ، ولكن ......

صمت لحظة مفكِّرًا ، ثم قال فى حزم :

ــ ولكن ، فلنكن على أهبة الاستعداد ، ولو أظهرت تلك السفينة أى روح عدائية ، فسنجيبها بالمثل على الفور .

شحب وجه أحد رجاله ، وهو يقول :

ــ لست أظن أنه سيمكننا ذلك ياسيِّدى .

هتف به اللواء (موسى) فى عصبيّة :

ــ لماذا ؟

أجابه الرجل فى اضطراب شديد :

ــ لقد توقَّفت السفينة الفضائية وسط أقمارنا الدفاعية ياسيِّدى و .....

هتف به فى حِدَّة :

ــ وماذا ؟

تردَّد الرجل لحظة ، ثم أجابه فى صوت يشفُّ عن اضطرابه الشديد :

ــ ولقد تعطلت ــ إثر ذلك ــ كل أقمارنا الدفاعيّة ياسيِّدى .. تعطلت تمامًا ..

* * *

مطَّ (بودون) شفتيه فى امتعاض ، وهو يرقب أجهزة سفينته الفضائية فى هدوء ، بعينيه البنفسجيتين ، الشبيهتين بعيون الثعابين ، وغمغم فى ازدراء :

ــ من الواضح أنه كوكب بدائى ، لم تبلغ تكنولوجيته بعد عشر مبلغنا .. إنهم مازالوا يعتمدون على أسلحة الأشعة ، والمحرِّكات الذريّة ، حتى أن مجالًا كهرومغناطيسيًّا بسيطًا ، أحطت به سفينتى ، قد أوقف كل أقمارهم فى يُسْر .

مطَّ شفتيه مرَّة أخرى فى ازدراء ، ثم اتجه فى هدوء نحو مقاتلة فضائية صغيرة نسبيًّا ، تستقرّ داخل دائرة خاصّة ، فى منتصف سفينته ، وصعد إليها ، ثم أغلق قبّتها الشفّافة فوقه ، وضغط أزرارها ، وهو يستطرد :

— هذا يعنى ضرورة الانتقال إلى الفحص التالى ، ودراسة وسائلهم الدفاعية داخل مجالهم ، كما تقتضى الأوامر ، وإن كنت أظن أن هذا ليس مجديًا ، فبالقياس إلى ما أصبحت به أقمارهم ، أكاد أجزم بأن تكنولوجيتنا ستبدو لهم كالسّحر .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى أحيطت مقاتلته بغلاف متألّق متوهج ، ثم تلاشت من مكانها فى بطء ، وعادت تتجسّد خارج المجال الكهرومغناطيسى ، الذى يحيط به سفينته الفضائية ، ثم انطلقت نحو الأرض ..

* * *

« نداء إلى جميع الطيّارين .. استعدّوا لاعتراض مقاتلة فضائية من كوكب مجهول ، اخترقت على التوّ الغلاف الجوىّ للأرض ، فوق صحراء مصر الغربية .. حاولوا إجبارها أوّلًا على الهبوط ، فإن لم تستجب ، فقوموا بتدميرها على الفور .. أكرّر .. نداء إلى جميع الطيّارين .. » .

قبل أن يتكرّر النداء ، كان جميع طيّارى قاعدة (نصر) الجويّة يهرعون إلى مقاتلاتهم ، ويقفزون داخلها ، ويديرون محرّكاتها الصاروخية ، ومع انتهاء تكرار النّداء ، كانت مقاتلاتهم تنطلق نحو الهدف ، بسرعتها التى تبلغ عشرة أضعاف سرعة الصوت ..

وبعد أقلّ من خمس دقائق ، كان الهدف يبدو أمامهم واضحًا ، فأرسل قائدهم إلى القاعدة الرسالة التالية :

— الهدف فى مجال الرؤية .. أنتظر الأمر بالتعامل معه ..

أجابته القاعدة :

— نفّذ على الفور .

انطلقت المقاتلات فى تشكيل يشبه رأس السّهم ، نحو مقاتلة (بودون) ، الذى عاد يمطّ شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

— إنهم يستخدمون مقاتلات بطيئة للغاية ، ومناوراتهم سخيفة وتقليدية ، ولكن لا بأس من أن نلهو قليلًا ..

أوقف مقاتلته لحظة ، حتى أصبحت المقاتلات المصرية على بعد كيلومترين منه ، وسمع عبْر أجهزة الاتصال الخاصّة به ، والمهيأة لالتقاط كل أنواع الذبذبات ، صوت قائدها يقول فى لهجة آمرة :

— أحيطوا بالهدف ، وحاولوا إجباره على الهبوط .

لم يفهم (بودون) حرفًا واحدًا من العبارة ، فضغط زرّ كمبيوتر أرغورانى خاصّ ، وهو يقول :

— لقد حان الوقت لدراسة لغتهم ..

وانتظر حتى أصبحت المقاتلات على بعد نصف كيلومتر منه ، ثم استطرد فى سخرية :

— والآن فليبدأ اللهو ..

وانطلق بمقاتلته فجأة فى سرعة مذهلة ، فمرق بين المقاتلات الأرضية كدفقة من الضوء ، وخلق بينها تخلخلًا هوائيًا قويًا ، أفقد ثلاثًا منها توازنها ، فهوت من حالق ، على حين صاح قائدها :

— لقد أظهر الهدف روحًا عدائيّة .. انتقلوا إلى الخطّة (ب) ؛ لتصفية الهدف فورًا .

اتخذت المقاتلات الباقية تشكيلًا نصف دائرىّ ، وأطلقت كل منها مدافعها اللّيزرية نحو مقاتلة (بودون) ، التى انحرفت فجأة بزاوية قائمة ، ثم ارتفعت إلى أعلى ، متجاوزة خيوط اللّيزر ، قبل أن تعود لتهبط فجأة ، وتتوقّف فوق المقاتلات تمامًا ، ثم تدور حول نفسها فى سرعة خرافية ، وهى تتألق بضوء برتقالىّ أخاذ ..

وهنا امتلأت قلوب المقاتلين برُعب هائل ، على الرغم من شجاعتهم المعهودة ، فقد توقّفت كل محرّكات مقاتلاتهم تمامًا ، واضطربت أجهزتها فى شدّة ، حتى البوصلة ، أخذت تدور حول نفسها فى جنون ، وكأنما أصبحت تعجز عن تحديد الشمال المغناطيسىّ ، الذى تتجه إليه دومًا ، وبرغم ذلك فقد

توقّفت مقاتلاتهم فى الهواء ، وتسمّرت ، ولم تسقط ، وكأن الجاذبية الأرضية قد فقدت تأثيرها عليهم ..

ومن رءوسهم انبعث طنين رهيب قوىّ ، ارتجّ له كيانهم كله ، ومقاتلة (بودون) تواصل دورانها حول نفسها بسرعتها الخرافية ، وتألّقها البرتقالىّ الأخاذ ..

وفجأة .. تحوّل ذلك البريق البرتقالىّ إلى اللون الأخضر ، فعادت محرّكات المقاتلات تهدر من جديد ، واستعادت البوصلة تعرّفها واتجاهها إلى الشمال ، ثم فقدت المقاتلات كلها توازنها ، واستردّت الجاذبية الأرضية سيطرتها عليها ، فهوت فى حركة حلزونية عنيفة ..

وأطلق (بودون) — داخل مقاتلته — ضحكة ساخرة ، أشبه بصهيل جواد جامح ، وهو يقول :

— ياله من كوكب!!.. إن غزونا له سيبدو أشبه بنزهة لهو.

تابع فى شغف المقاتلات ، وهى تهوى نحو الأرض ، وتألّقت عيناه فى جذل ، حينما ارتطم نصفها بالأرض ، وانفجر بدوىّ هائل ، على حين استعادت البقية الباقية توازنها فى اللحظات الأخيرة ، وعادت ترتفع بلا نظام ، وهتف قائدها عبْر أجهزة الاتصال :

— من (نسر — ١) إلى القاعدة .. التعامل مع الهدف



وأطلق (بودون) ـ داخل مقاتلته ـ ضحكة ساخرة ،
أشبه بصهيل جواد جامح ..

مستحيل .. إنه يمتلك وسائل قتالية رهيبة ، تفوق وسائلنا بمئات المرّات .

أتاه الجواب فى صوت بالغ التوتر :

ـ من القاعدة إلى (نسر ـ ١) .. لاتحاول الاشتباك مع الهدف مرّة أخرى .. عُد إلى القاعدة على الفور .. أكرّر .. لاتحاول الاشتباك مع الهدف ..

التمعت عينا (بودون) فى سخرية ، حينما رأى المقاتلات تستدير ، وتبتعد عائدة إلى قاعدتها ، وغمغم ساخرًا :

ـ مرحبًا بكوكبكم فى ركب إمبراطورية (أرغوران) العظيمة ، ياسكان (سيتا ٣) الضعفاء .

أثار انتباهه فجأة انفصال مقاتلة عن التشكيل ، وعودتها إليه فى سرعة ، ونقلت إليه أجهزته صوت قائد التشكيل ، وهو يهتف :

ـ عُد إلى التشكيل يا(عبد الله) .. هذا أمر .. لاتحاول الاشتباك مع الهدف مرّة أخرى .

جاء صوت (عبد الله) ، يقول فى شراسة :

ـ لن نسمح له بهزيمتنا أيها القائد .

صاح القائد فى عصبيّة :

ـ عُد يا(عبد الله) .. هذا أمر ..

ولكن (عبد الله) لم يَعُد ، بل انطلق نحو مقاتلة (بودون) مباشرةً ، وبأقصى سرعة تسمح بها مقاتلته ، وعينا (بودون) تتابعانه فى شغف واهتمام ، وهو يقترب ، ويقترب ، ويقترب ..

ونقلت أجهزة (بودون) صوت (عبد الله) ، وهو يقول فى انفعال :

ــ إننى أقترب من الهدف ، وهو ثابت فى موضعه .. سأصطدم به مباشرةً .

عاد صوت القائد يهتف فى لهجة باتت أشبه بالضراعة :

ــ عُدْ يا (عبد الله) .. عُدْ .

ظلَّ (بودون) يراقب اقتراب مقاتلة (عبد الله) فى هدوء ، حتى صارت على بعد مائتى متر منه ، فضغط أحد أزرار مركبته ، وهو يغمغم فى برود :

ــ لا بأس .. إنه اختيار آخر ..

وعلى الفور عادت مقاتلته تدور فى سرعة ، ولكن فى الاتجاه العكسىّ ، وتألّقت هذه المرّة ببريق أرجوانى ، فى نفس اللحظة التى صاح فيها (عبد الله) :

ــ سأرتطم بالهدف .. سأرتطم به بعد لحظة واحدة ..

ثم حدث الارتطام ، ودوّى انفجار هائل فى السماء ..

* * *

٣ ــ مُهِمَّة عاجلة ..

توتّرت كل خلجة من خلجات الرائد (نور الدين) ، وهو يتابع على شاشة القائد الأعلى للمخابرات العلميّة المصريّة ، مشهدًا مجسّمًا للانفجار ، الذى استغرق لحظة واحدة ، تناثرت بعدها أشلاء مقاتلة (عبد الله) ، على حين بقيت مقاتلة (بودون) ثابتة ، صامدة ، ثم توقّفت عن الدَّوران ، وهبطت فى هدوء نحو واحدة من مدن الصحراء الغربية ، التى تمّ إنشاؤها مع بداية القرن الحادى والعشرين ، واستقرّت فى ساحتها الرئيسية ، وسط ذُعر سكّانها ورُعبهم ، وتألّقت بضوء بنفسجىّ مُبهر ، ثم اختفت الصورة من على الشاشة تمامًا ، مخلّفة مساحة بيضاء خالية ، وقال القائد الأعلى فى توتّر :

ــ كان هذا هو آخر مشهد حصلنا عليه أيها الرائد .

التفت (نور) إلى قائده ، وهو يقول فى توتّر :

ــ لماذا ياسيّدى ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ يبدو أن ذلك الضوء البنفسجىّ يلغى عمل كل وسائل التصوير يا (نور) ، ومن الواضح أن تلك المقاتلة الفضائيّة قد احتلّت مدينة (حورس) ، فى الصحراء الغربية ، بكل سكّانها ، البالغ عددهم عشرة آلاف نسمة ؛ لسبب ما .

سأله (نور) فى قلق :

— هل حاولتم اقتحام المدينة ياسيِّدى ؟

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— ليس بعد يا(نور)، فلقد تمّ هذا الاحتلال منذ ساعة واحدة، وانقطعت كل وسائل الاتصال بالمدينة، ولقد فقدنا مائة مقاتلة، فى مواجهتنا الأولى مع تلك المقاتلة الفضائية المجهولة، ومازالت أقمارنا الدفاعية متعطلة، بسبب وجود تلك السفينة الضخمة وسطها، وهذا يؤكِّد قوة هؤلاء الغزاة، القادمين من أعماق الكَوْن.. وأصارحك القول أننا نخشى القيام بهجوم غير مدروس، قد يكون من شأنه تدمير دولتنا كلها.

قال (نور) فى انفعال :

— ولا يمكننا أن نستسلم لهذا الوضع أيضًا ياسيِّدى .

أومأ القائد الأعلى برأسه موافقًا ، وهو يقول فى حزم :

— هذا صحيح يا(نور) .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى بطء :

— وهذا هو سرّ استدعائى لك .

انتصبت قامة (نور) فى اعتداد ، وهو يقول فى حماس :

— فريقى كله رهن إشارتك ياسيِّدى .

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى بطء ، وكأنما يُعلن ثقته فى ذلك ، ثم قال :

— إننا نواجه عدوًّا مجهولًا يا(نور) ، يمتلك وسائل قتالية وتكنولوجية تفوقنا كثيرًا ، وقبل أن نشنّ عليه هجومًا شاملًا قويًا ، فإننا نحتاج إلى بعض المعلومات عنه أوّلًا .

قال (نور) فى حزم :

— متى تأمر بذهابى وفريقى إلى مدينة (حورس) ياسيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى فى سرعة :

— الآن .. على الفور يا(نور) .

ثم استدرك فى تردُّد :

— وهذا ليس أمرًا ، فلا أحد يعلم مصير من يذهب إلى هناك ، ولا حتى مصير العشرة آلاف نسمة من سكان (حورس) ، وهذا يعنى أن المهمة تطوّعيّة تمامًا ، وينبغى أن تتمّ فى أسرع وقت ممكن .

أجاب (نور) فى هدوء وحزم :

— سيتم الفريق مهمته على أفضل وجه ممكن ياسيِّدى .

ثم أدّى التحية ، استعدادًا للانصراف ، وهو يستطرد :

— الفريق كله ياسيِّدى ..

* * *

قبع كل سكّان (حورس) فى منازلهم ، والرُّعب يملأ قلوبهم فى شدة ، وهم يختلسون النظر عبْرَ فُرجات نوافذهم ، إلى مقاتلة (بودون) ، الرابضة وسط الساحة الكبرى لمدينتهم ، والتى أقيمت كل منازلهم حولها ، وقد أدهشهم أن أحدًا لم يغادر تلك المقاتلة اللامعة ، المتألّقة بضوء بنفسجىّ مُبهر ، طيلة ثلاث ساعات كاملة ، منذ هبوطها فى الساحة ..

وفى داخل المقاتلة جلس (بودون) هادئًا ، يحيط رأسه بغلاف لَدْن شفّاف ، ويتابع ببصره تلك الرموز ، التى ترتسم على شاشة الكمبيوتر الأرغورانى الخاصّ ، الذى يلتقط — فى حساسية فائقة — كل الكلمات والهمسات ، التى تتردّد فى أرجاء (حورس) ، ويدمجها ويحلّلها ، ليستخلص منها لغة التعامل فى المدينة ، ويترجمها إلى الأرغورانية ، ثم ينقلها بوسائل تكنولوجية فائقة التطوُّر ، إلى عقل (بودون) ، الذى راحَ يستوعب كل مايرِدُ إليه فى سرعة مذهلة ، عاونه عليها ذلك الغلاف اللَّدْن الشفّاف ، الذى يحيط برأسه ، ويضاعف قدرة مخه على الاستيعاب ملايين المرّات ..

وأخيرًا .. وبعد ثلاث ساعات كاملة ، نزع (بودون) عن رأسه ذلك الغلاف الشّفّاف ، وهو يقول فى هدوء :

— أعتقد أنه يمكننا الآن التحدُّث بلغة أهل (سيتا ٣) .

ثم تناول مكعبًا أزرق اللَّون ، وراحَ يتحدث إليه قائلًا :

— المقاتل (بودون) يضع تقريره الثالث ، عن الكوكب المعدّ للغزو (سيتا ٣) .. لقد تمّ اختبار جوّ الكوكب ، كما ورد بالتقرير الأوّل ، وهو يناسب معيشة الأرغورانيين .. وتمّ اختبار وسائل قومه الدفاعية الفضائية ، كما ورد بالتقرير الثانى ، وهى تافهة ، لن تصمد لحظة واحدة أمام قواتنا ، ويبقى أن نختبر سكّان الكوكب ، بعد أن تمّ نقل وترجمة لغتهم إلى الأرغورانية ، لمعرفة تكوينهم ، وقدراتهم على الصُّمود والمقاومة .

انتهى من حديثه ، ثم وضع المكعّب إلى جوار مكعّبين آخرين ، سجّل عليهما تقريريه الأوّل والثانى ، ثم ضغط زرًّا صغيرًا ، فانزاحت قبّة مقاتلته من فوقه ، ونهض ليغادرها فى عظمة وثقة وهدوء ..

وتعلّقت عيون سكّان (حورس) فى رُعب بجسد (بودون) ووجهه ، وشهق بعضهم فى ذُعر ، حينما وقعت أبصارهم على وجهه الشديد الحُمرة ، بعروقه الزرقاء المخيفة ، وزيّه البرونزى اللامع ، وحرملته الأرجوانية المفهفافة ، وكان أكثرهم رُعبًا كهل وزوجته ، يقطنان منزلًا من طابق واحد ، اتجه إليه (بودون) فى هدوء ، ورأسه الأصلع يلتمع تحت

الشمس ، فاختنق صوت الزوجة من شدة الرُّعب ، وهي تتشبَّث بذراع زوجها ، مغمغمة :

— (فايز) ؟!.. إنه يتجه إلينا .. إنه سيفترسنا .

لم يكن زوجها بأقل رعبًا منها ، إلا أنه قبض على مقبض مسدسه اللّيزري في قوة ، وهو يربِّت على كفها براحة مرتجفة ، مغمغمًا :

— لن نسمح له يا زوجتي العزيزة .. لن نسمح له ..

وعلى الرغم من رُعبه ، وارتجافه الشديد ، فتح باب منزله ، ليواجه (بودون) ، قائلًا في حِدَّة :

— ماذا تريد منَّا أيها الغريب ؟

لم يجبه (بودون) ، على الرغم من أنه قد فهم العبارة ، بعد أن أصبح يعرف لغة المصريين ، وإنما راح يتأمَّل الرجل في شغف ، وهو يقارن بين بشرته السمراء ، وبشرة الأرغورانيين الحمراء ، وبين عينه ذات البؤبؤ المركزيّ المستدير ، وعيون الأرغورانيين ذات الشق الطوليّ ، وهو يواصل تقدُّمه نحو الرجل في هدوء ، فتراجع الرجل ، وهو يصوِّب مسدسه اللّيزريّ إلى (بودون) صائحًا في صوت مرتجف :

— إنني أحذِّرك أيها الغريب .. لن أتردَّد في قتلك ، لو أنك واصلت تقدُّمك .

لم يبالِ (بودون) بتحذير الرجل ، وإنما واصل تقدُّمه في هدوء ، وهو يضغط زرًّا صغيرًا في حزامه ، فصاح الكهل في ذُعر :

— لقد حذَّرتك .. أنت أردت ذلك .

ثم أطلق أشعة مسدسه اللّيزري ..

وأمام عين الكهل وزوجته ، وكل سكَّان (حورس) المذعورين ، تلاشت أشعة اللّيزر ، وتشتت ، قبل أن تصل إلى (بودون) ، الذي توقَّف في هدوء ، والتقط من حزامه كرة برَّاقة ، صوَّبها نحو العجوز ، الذي صرخ في رُعب هائل :

— كلَّا .. كلَّا ..

ورأى سكَّان (حورس) ، الرُّعب يملأ قلوبهم ، فقاعة شفَّافة تنطلق من حول الكرة ، وتندفع نحو منزل العجوز وزوجته ، وحجمها يتضاعف في سرعة مذهلة ، حتى أصبحت تفوق المنزل حجمًا ، وهي تحيط به كله ..

ورأى الجميع الكهل يضرب جدران الفقاعة بقبضتيه في رُعب ، ثم يطلق عليها أشعة مسدسه اللّيزريّ مرَّة ، ومرَّات ، دون جدوى ، قبل أن ينهار في ذُعر لامثيل له ، وتسقط زوجته مغشيًّا عليها ، على حين عاد يواصل تقدُّمه نحو الفقاعة ، ويعبُرها



ورأى الجميع الكهل يضرب جدران الفقاعة بقبضتيه فى رُعب ، ثم يطلق عليها أشعة مسدسه الليزرى مرّة ، ومرّات ..

وقد تحوّل جسده إلى ما يشبه الطيف الهلامىّ ، قبل أن يختفى داخل الفقاعة ، التى تألّقت بضوء مُبهر ، ثم تحوّلت جدرانها إلى سطح لامع ، أشبه بمرآة ضخمة ..

وهنا بدا وكأن كل سكّان (حورس) قد تلقّوا أمرًا واحدًا ، أملاه عليهم خوف جارف عنيف ، فقد اندفع الجميع خارج منازلهم ، وقفزوا إلى سياراتهم ، فى مشهد بدا أشبه بلوحة تحمل اسم (الفزع الرهيب) ، وانطلق عشرة آلاف مواطن ، داخل ربع هذا العدد تقريبًا من السيارات الصاروخية ، يفرّون من مدينتهم ، التى شيّدوها بكفاحهم وعرقهم ..

انطلقوا يفرّون بأرواحهم من ذلك الجحيم ، الذى هبط عليهم من أغوار الفضاء ..

واختفت المدينة خلف سحابة هائلة من رمال الصحراء ، أثارتها السيارات الصاروخية ، التى تحمل الفارّين ..

وعلى بعد عشرة كيلومترات من ذلك المشهد ، غمغم (نور):

ـــ إنه مشهد مخيف حقًا !!

تمتمت (سلوى) بصوت مرتجف :

ـــ هذا صحيح .. ولو أننى فى موضعهم ، لحذوت حذوهم.

أجابها (رمزى) فى حزم :

— أمّا أنا فلا ، إن أحدًا لن يجبرنى على ترك وطنى أبدًا ..

وهتف (محمود) :

— إننى أفضّل أن أقضى نحبى فيه ، على أن أفرّ منه هكذا .

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يواصل مراقبته للمدينة ، من خلال منظار مقرّب ، شديد الحساسية :

— من السهل أن تقول ذلك ، وأنت تجلس هنا يا (محمود) .

قال (محمود) فى حدّة :

— لاتنس أننا لن نلبث أن نصبح هناك يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح .

ثم رفع المنظار المقرّب عن عينيه ، والتفت إلى رفاقه ، مستطردًا فى اهتمام :

— لقد أصبح الأمر كله يعتمد على نجاحنا يارفاق ، فلقد غادر الجميع (جورس) ، وأصبحت ساحة المعركة تقتصر علينا ، وعلى ذلك المخلوق الفضائى ، الذى سافر عبْر ملايين السنوات الضوئية ؛ لينشر فى أرضنا كل هذا الفزع .. ولكن معلومًا لدى الجميع ، أن مهمتنا تقتصر على دراسته ، وجمع كل

المعلومات التى تتعلق به ، على قدر الإمكان ، ونقلها إلى المسئولين .

صمت لحظة ، ثم زفر فى عمق ، قبل أن يستطرد :

— أنتم تعلمون أن ذلك الضوء البنفسجى ، التى تشعّه مركبة ذلك المخلوق الفضائى ، يُوقف كل وسائل الاتصال من وإلى المدينة ، وهذا يعنى أن مانجمعه من معلومات عن خصمنا ، سيحتاج إلى بقاء أحدنا حيًّا ؛ لينقله إلى المسئولين .

ارتجفت أجسادهم ، حينما استطرد فى حزم وعُمْق :

— هذا هو أهم ما فى الأمر يارفاق .. يجب أن يبقى أحدنا حيًّا ..

أومأ الجميع برءوسهم فى موافقة وتوتّر ، ثم أشار (نور) نحو المدينة ، واتّجه الجميع نحو الهدف ..

نحو الجحيم ..

* * *



٤ — الدّراسة ..

تطلّع (بودون) فى بُرود إلى الكهل وزوجته ، اللّذين فقد
وعيهما من شدة الرُّعب ، ثم اتجه إلى رَدهة منزلهما ، فأز
الأثاث الذى يتوسَّطها ، فى احتقار ، ثم أخرج من حزامه قر
صغيرًا وضعه فى منتصف الرَّدهة ، ثم ضغطه فى رفق ، وترا
إلى الخلف ، وانتظر فى هدوء ..

وفجأة .. بدا وكأن ذلك القرص يتضخَّم فى سرعة
ويتمدَّد ، حتى تحوَّل إلى مائدتى فحص متقاربتين ، يتوسطه
حامل طويل ، تبرز من أعلاه أعمدة أفقية ، ينتهى كل م
بمصدر ضوئىّ قوىّ ، يضىء المائدتين فى وضوح ..

وهنا حمل (بودون) جسدى الكهل وزوجته ، ومدَّد ك
منهما على مائدة فحص ، وأحكم وثاقهما إليها ، ثم ضغط ز
فى حزامه ، فاختفى المكعب الأزرق الثالث فى مقاتلته ، الت
ما زالت تقبع فى منتصف ساحة المدينة ، وظهر فى رَاحته ، فأدنا
من شفتيه ، وهو يقول :

— من الواضح أن سكّان (سيتا ٣) يشبهوننا كثيرًا ، فيم
عدا لون بشرتهم ، وتلك الخيوط الرفيعة ، التى تغطّ
رءوسهم ، وتعلو عيونهم ، وتلك الدائرة المركزية ، التى

وسْط عيونهم .. ومن الواضح أيضًا أن تلك الغريزة البدائية ،
المعروفة باسم (الخوف) ، هى التى تتحكَّم فى غرائزهم تمامًا ،
فلقد سجلت أجهزتى فرار كل سكّان تلك القرية البدائية ، خوفًا
من مواجهتى ، وفرارًا من مصير مازال بالنسبة لهم مجهولًا .

انهمك لحظات فى فحص تفاصيل الجسدين المسجيين
أمامه ، ثم توقَّف فى دهشة ، وهو ينزع طاقم أسنان الكهل ،
ويتأمَّله فى حَيْرة ، ثم يعيده إلى موضعه ، واتجه إلى المرأة ، وراح
يفحص أسنانها فى حَيْرة ، ويجذبها محاولًا نزعهما بلا جدوى ،
فعاد يلتقط المكعَّب ، قائلًا :

— الفحص الخارجى للعيّنتين يشير إلى أنهما ذكر وأنثى ،
ويبدو أن أسنان الذكور ، فى هذا الكوكب ، يمكن نزعها
وإعادتها ، على عكس أسنان الإناث ، فهى ثابتة ، قويّة .

ثم أخرج من حزامه أنبوبًا صغيرًا ، ضغط طرفه فى رفق ،
فانطلق من طرفه الآخر خيط من أشعة ذهبية ، وهو يستطرد :

— والآن يبدأ الفحص التشريحى لسكّان (سيتا ٣) .

وبكل هدوء شقَّ صدر وبطن الكهل بشعاعه الذّهبىّ ،
دون أن ينزف الكهل قطرة دم واحدة ، وراح يسجِّل تقريره ،
وهو يواصل فحصه فى هدوء :

— التشريح الداخلى يشبه تشريحنا تقريبًا ، فيما عدا أنه معكوس ، فالقلب لديهم يميل إلى اليسار ، على عكس قلوبنا ، وكذلك الكبد ، والطحال ، وغيرها و .....

أوقفه فجأة أزيز خافت ، انبعث من قرص دقيق فى حزامه ، فالتقط القرص فى سرعة ، وضغطه فى قوّة ، فتكوّنت أمامه صورة هولوجرافية مجسّمة لمركبته الفضائية ، و(نور) وفريقه يقتربون منها فى حذر ، فانحنى (بودون) نحو المكعّب ، وقال فى اهتمام ، دون أن يرفع عينيه عن الصورة :

— يبدو أن غريزة الخوف البدائية لاتحكم كل سكّان (سيتا ٣) ، وأن الفضول قد يغلبها فى بعضهم ، فهناك أربعة أشخاص ، ثلاثة ذكور وأنثى ، يتجهون نحو مقاتلتى فى حذر ، وأظن أنهم يهدفون إلى دراستها ..

صمت لحظة ، وهو يتابع اقتراب (نور) ، و(سلوى) ، و(رمزى) ، و(محمود) من مقاتلته ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يردف :

— ولكنها — على أيّة حال — فرصة جيّدة ، لاستكمال دراسة طبائع سكّان (سيتا ٣) .. قبل أن يبدأ الغزو ..

* * *

اقترب (نور) ورفاقه من مركبة (بودون) فى حذر ، وهمست (سلوى) ، وهى تفحص المركبة بعينيها فى اهتمام :

— من الواضح أنها ليست من كوكب الأرض بالتأكيد ، فمعدنها يبدو لى عجيبًا ، وكذلك ذلك الشُّعاع البنفسجى ، الذى ينبعث منها ، ويحيط بها .

غمغم (محمود) فى اهتمام :

— ذلك الشُّعاع — بالذات — يثير اهتمامى فى شدة ، فهو ليس من أنواع الأشعة المعروفة ، ولكن له قدرة هائلة على الشوشرة ، على كل وسائل الاتصال المعروفة .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، وقال فى شغف :

— تُرى .. هل يمكن التسلُّل إلى تلك المركبة ؟

أمسك (رمزى) بكفّه ، وهو يقول فى حزم وتوتُّر :

— حذارِ أن تفعل يا (نور) ، فقد يكون الدخول إلى تلك المركبة ممكنًا ، ولكن الخروج لن يكون كذلك بالتأكيد .

غمغم (نور) فى هدوء :

— هذا لايهم .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى صرامة :

— لاتنس أن مهمّتنا هى الحصول على أكبر قدر من المعلومات .

ران الصمت لحظة ، ثم تخلّى (رمزى) عن كف (نور)
وهو يغمغم :

— أنت على حق .

عاد (نور) يتأمّل المركبة فى إمعان ، وهو يقول :

— ولكن كيف ؟.. كيف يمكن التسلّل إليها ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تحرّكت فجأة تلك القبّة الشفّافة التى تغطّى كابينة قيادة المقاتلة الأرغوانية ، وانزاحت لتكشف الكابينة ، فشهقت (سلوى) فى فزع ، وغمغم (محمود) فى توتّر بالغ :

— يا إلهى !!.. كأنها تجيب عن سؤالك يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يلتفت إلى (رمزى) ويسأله فى اهتمام :

— ما تفسير ذلك فى رأيك ؟

رفع (رمزى) حاجبيه، ومطّ شفتيه، ثم غمغم فى خفوت:

— لو أن الدراسات النفسية لسكّان ذلك الكوكب ، الذى جاءت منه تلك المركبة ، تتفق مع مادرسته عن نفسيات أهل الأرض ، فهذا يعنى أن ذلك المخلوق الفضائى يراقبنا الآن فى إمعان ، وأنه قد فتح لنا مركبته عمدًا .

غمغم (نور) فى اهتمام :

— هل تعنى أنه يمنحنا الفرصة لدراسة مركبته ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى توتّر :

— بل هو يقوم بدراستنا نحن يا (نور) ، كما لو كنا مجرّد فئران تجارب .

شعر (نور) بالغضب ، لاستخدام (رمزى) هذا التشبيه بالذات ، ولكنه كتم غضبه فى أعماقه ، وهو يسأله فى اهتمام :

— وهل يصل به ذلك إلى حدّ السماح لنا بدخول مركبته ؟

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، فازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول فى حزم :

— حسنًا .. دعنا نعاونه على إجراء تجاربه ، مادام قد أتاح لنا هذه الفرصة النادرة .

* * *

تألّقت عينا (بودون) فى اهتمام بالغ ، وهو يراقب مايحدث ، وعاد يملى تقريره على المكعب الأزرق ، قائلًا :

— من الواضح أن هؤلاء المخلوقات الأربعة أكثر شجاعة من الآخرين ، وأكثر ذكاءً كذلك .. ولقد علمت من التقاط حديثهم المتبادل ، أنهم يطلقون على كوكبهم اسم (الأرض) ، وأن المخلوق ذا السترة الجلدية هو قائدهم ، وأكثرهم تهوّرًا ..

وأن الآخر خبير نفسى ، أمّا الثالث ، الضئيل الجسد ، الذى
يضع فوق عينيه جهازًا له عدستان شفّافتان ، فهو متخصص
فى علم الأشعة ، أما الأنثى ، فلم يتمّ تحديد هُويّتها بعد ..
ثم عادت ابتسامته الساخرة إلى شفتيه ، وهو يستطرد :
— وستمضى فى الدراسة إلى النهاية ، لنرى هل يمكنهم
استيعاب تكنولوجيتنا ؟..

* * *

تعلّقت (سلوى) بذراع (نور) فى جزع، وهى تقول فى
توتّر:
— كلّا يا(نور) .. لاتذهب إلى تلك المركبة ، فربّما كان
ذلك الوهج البنفسجى ، الذى يحيط بها قاتلًا .
ربّت على كتفها ، وهو يقول :
— إنه واجبى ياعزيزتى ، ونحن لم نخاطر بالمجىء إلى هنا
لنخشى استغلال فرصة نادرة كهذه .
تطلّعت إليه بعينين ضارعتين ، ثم لم تلبث أن أدركت عُقم
محاولتها ، فتخلّت عن ذراعه ، وهى تقول فى عناد :
— حسنًا .. سنذهب معًا .
هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :
— هل نسيت يا(سلوى) ؟.. يجب أن يبقى أحدنا حيًّا .

ثم اتجه فى ثبات نحو المركبة ، وخفق قلب (سلوى) فى
عنف ، حينما رأته يقترب من الوهج البنفسجى ، الذى يحيط
بها ، وهتفت من فرط الانفعال ، وهى تغمغم :
— يا إلهى !!.. ساعده يا إلهى !..
وواصل (نور) طريقه فى ثبات ، وشعر بقشعريرة باردة
تسرى فى جسده ، حينما عَبَر ذلك الوهج البنفسجىّ ، وبدغدغة
خفيفة من أنامله ، ثم هدأ كل ذلك ، حينما لمس جسم المركبة
بيده ، فتوقّف لحظة ، ثم قفز إلى كابينتها ، وتطلّع إلى الأجهزة
العجيبة التى تملؤها فى حَيْرة ، ثم أدار وجهه إلى حيث يقف
رفاقه ، وصاح بهم :
— تعالَ يا(محمود) ، وأنت يا(سلوى) ، أما أنت
يا(رمزى) ، فابقَ فى مكانك .
أدرك (رمزى) أن (نور) يطلب منه أن يكون هو
الفرد ، الذى يبقى على قيد الحياة ، إذا ماأصاب الآخرين
مكروه ، وزاد هذا من توتّره ، وهو يتابع ببصره (محمود)
و(سلوى) ، اللذين أسرعا إلى المركبة ، وقفزا إلى كابينتها ،
وتأمّلا محتوياتها بدورهما ، قبل أن يسألهما (نور) فى اهتمام :
— هل يمكنكما فهم هذه الأجهزة ؟

هزّ رأسيهما فى حيرة ، وهما يقولان :
ـ كلّا يا (نور) .. إنها تبدو عجيبة للغاية !!
ابتسم (بودون) من مكانه فى سخرية ، وهو يقول :
ـ مُحال أيها الأرضيون .. لن يمكنكم فهم تكنولوجيا تفوق تكنولوجيتكم بآلاف السنين .
إلّا أن القلق لم يلبث أن تسلّل إليه ، حينما نقلت إليه أجهزته صوت (محمود) ، وهو يقول فى حزم :
ـ ولكن يمكننا أن نحاول .
تابع (بودون) فى اهتمام تلك المحاولات المشتركة ، بين (محمود) و(سلوى) ؛ لفهم طبيعة آليات مركبته ، حتى غمغمت (سلوى) :
ـ أعتقد أنه يمكننى فهمها نوعًا ما .
وغمغم (محمود) :
ـ وأنا كذلك .
سألهما (نور) فى اهتمام :
ـ حسنًا .. ما الذى فهمتماه بالضبط ؟
أشار (محمود) إلى لوحة تمتلئ بدوائر هلامية، وهو يقول:
ـ أظن هذه هى أزرار القيادة ، والتدرّج فى ألوان الدوائر

يشير إلى السُّرعات، التى تنطلق بها المركبة، وهذا يفسّر قُدرتها على الانتقال من سرعة عاديّة إلى أخرى مذهلة، فى لحظة واحدة.
أشارت (سلوى) إلى مكعّب جانبى ، يشبه شبكة من الصلب ، تحيط بكيان زجاجى سميك ، وقالت :
ـ وهذا حسبما يبدو جهاز التقاط فائق القوّة ، يمكنه التقاط كل الذبذبات الممكنة .
سألهما (نور) فى لهفة :
ـ هل يمكنكما تعطيل تلك المركبة ، ومنعها من الإقلاع ؟
تردّدا لحظة ، ثم قال (محمود) :
ـ أظن أننا لو أتلفنا لوحة القيادة ، فربمّا .....
لم ينتظر (بودون) ليسمع باقى الحديث ، فقد انتابه فجأة شعور عنيف بالندم ؛ لأنه سمح للأرضيين بدخول مركبته ، فقد كانت كل كلمة نطق بها (محمود) و(سلوى) حقيقية ، وكان هذا يَعْنى ـ بالنسبة له ـ أن هذا الفريق ، المكوّن من ثلاثة رجال وامرأة ، هو أكبر مَصْدَر للخطر بالنسبة لخطة الغزو ، وأنه ينبغى تدميره على الفور ..
وبلا رحمة ..

* * *

٥ — وبدأ القتال ..

التمعت عينا (نور) فى ارتياح وظفر ، حينما أكّد (محمود) و(سلوى) أن تحطيم لوحة التشغيل سيوقف مركبة الفضاء عن العمل ، ويمنعها من العودة إلى سفينتها ، التى تربض خارج مجال الأرض ، فانتزع مسدسه الليزرى من سترته ، وصوّبه إلى لوحة الأزرار ، قائلاً فى صلابة :

— السؤال التالى يارفاق هو : هل يمكن تحطيم تلك اللوحة ، بدفقة من أشعة اللّيزر ؟

تبادل (محمود) و(سلوى) نظرة تساؤل ، وقبل أن ينبس أحدهما ببنتِ شفة ، استطرد (نور) فى لهجة أقرب إلى السخرية ، على الرغم من دقّة الموقف :

— أنا أعلم الجواب هذه المرّة ، وهو يقول : إن التجربة وحدها ستثبت فاعلية ذلك .

استوقفه (محمود) فى توتّر :

— مهلاً يا(نور) .. إننا لاندرى ماالذى يمكن أن يحدث ، إذا ماأطلقت أشعة مسدسك اللّيزريّة على تلك اللوحة ، فقد يؤدّى ذلك إلى نسف المركبة كلها .

عقدَ (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

— نعم .. أنت على حق .

ثم استطرد فى حزم :

— وسيكون ذلك أفضل ممّا نتوقّع .

واكتسى صوته بصرامة آمرة ، وهو يردف :

— هيّا .. غادروا المركبة .

اتسعت عينا (سلوى) فى هلَع ، وهى تهتف :

— (نور) ؟!.. هل تنوى أن ......؟

قاطعها فى صرامة :

— غادروا المركبة .. هذا أمر .

صاحت (سلوى) فى حَنَق :

— إننى لست أحمل رتبة عسكرية ، فى صفوف المخابرات العلمية ، حتى توجه إلىّ مثل هذا الأمر يا(نور) .

أجابها فى حزم :

— ولكنك زوجتى .

هتفت فى عناد :

— وهذا يعنى أن أبقى إلى جوارك ، لا أن .....

قاطعتها صيحة (محمود) ، وهو يهتف فى ارتياع :

— (نور) !!.. انظر .. هناك .

التفت الجميع ، إثر هتاف (محمود) ، إلى تلك القبّة اللامعة ، التى تحيط بمنزل الكهل وزوجه ، والتى تألّقت فى شدّة ، ببريق أخضر زرعى ، ثم تلاشت كلها دفعة واحدة ، وظهر أمام المنزل (بودون) ، بوجهه الصارم ، وملامحه المخيفة القاسية ، وشهقت (سلوى) فى ذعر ، وتراجع (محمود) فى دهشة ، واتسعت عينا (رمزى) و(نور) ، حينما تكلّم (بودون) بصوت عجيب رنّان ، بدا وكأنه يأتى من أعماق سحيقة ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

— انتهت اللّعبة ، أيها الأرضيّون .. وانتهت أعماركم القصيرة ..

وفى هدوء وصرامة ، صوّب إليهم قضيبًا شفافًا ، تتألّق نهايته ببريق أرجوانى ، أدرك الجميع طبيعته على الفور ..

بريق يحمل إليهم الموت ..

* * *

انتزع (نور) نفسه من دهشته فى سرعة كبيرة ، على الرغم من المفاجأة ، ودفع (محمود) و(سلوى) خارج المركبة ، وهو يصيح فى حزم وصرامة :

— غادرا المركبة ، وابتعدا بأقصى سرعة .

انطلقت من طرف القضيب ، الذى يمسك به (بودون) ، دفقة من أشعة أرجوانية اللّون ، فى نفس اللحظة التى انحنى فيها (نور) ، فمرقت الأشعة فوق رأسه ، وشعر مع مرورها ، وعلى الرغم من أنها لم تمسّه ، بطنين شديد فى أذنيه ، وبدوار عنيف يكتنفه ، فتهاوى فوق مقعد قيادة المركبة ، وعيناه متعلقتان بلوحة الأزرار ، على حين اتجه (بودون) نحو مركبته ، فى خطوات هادئة قويّة ، دون أن يبالى بالالتفات إلى (سلوى) و (محمود) ، اللذين انضمّا إلى (رمزى) ، وانطلق ثلاثتهم يركضون مبتعدين ، ثم توقّفوا ، ليلتفتوا فى هلع إلى المركبة ، التى أصبح (بودون) على قيد أمتار قليلة منها ، ولم يغادرها (نور) بعد ، وصرخت (سلوى) فى لوعة :

— اهرب يا (نور) .. اهرب .

ولكن (نور) لم يسمعها ..

كانت حواسه كلها ترتكز على شىء واحد ..

تدمير لوحة التشغيل ..

لم يكن يدرى ، ماإذا كانت أشعة مسدّسه الليزرى تكفى لتدمير اللوحة ، أم لا !..

ولم يكن يدرى ، أيمكن أن يصيبه تدميرها بأذى ، أم لا ؟!..

كل ما كان يدريه هو ضرورة تدميرها .. مهما كان الثمن ..

وفى إصرار ، وصلابة ، صوّب (نور) فوّهة مسدسه الليزرى إلى اللوحة ، وأطلق الأشعة ..

وانفجرت لوحة التشغيل ..

انفجرت بلا صوت ، أو ضجيج ..

فقط تحوّلت إلى فتات ، أشبه بذرّات الرمل ، ثم تلاشت دفعة واحدة ..

الصوت الوحيد ، الذى تعالى فى تلك اللحظة ، هو صوت صرخة (بودون) الغاضبة ، التى انخلع لها قلب (سلوى) ، وهى تنقل بصرها فى رُعب ، بين وجه زوجها ، وعينى (بودون) ، اللتين تحوّلتا إلى قطعتين غاضبتين من جمر بنفسجى ملتهب ..

واندفع (بودون) نحو مركبته ، فصرخت (سلوى) :

— اهرب يا (نور) .. اهرب ..

وقبل أن يقفز (نور) خارج المركبة ، قفز (بودون) إليها ..

والتقت عينا رجلى المخابرات ..

التقت عينا (نور) ، رجل الأرض ، بعينى (بودون) الغاضبتين ، المشقوقتين كعيون الثعابين ..

وفى مبادرة سريعة ، رفع (نور) فوّهة مسدسه الليزرى ، نحو وجه (بودون) ، الذى بدا له فى تلك اللحظة ، أبشع



وفى مبادرة سريعة ، رفع (نور) فوّهة مسدسه الليزرى ، نحو وجه (بودون) ..

الوجوه فى العالم أجمع، ولكن قبضة (بودون) تحرّكت فى سرعة فائقة، وهوت على فكّ (نور) بلكمة قاسية، انتزعت هذا الأخير من مكانه، وألقت به خارج المركبة، وغمر الوهج البنفسجى، الذى لم يَخْبُ بانفجار لوحة التشغيل، إلى الأرض..

وفى هدوء .. أطلّ (بودون) من المركبة على (نور) ، الذى استلقى أرضًا ، وهو يشعر بآلام مبرّحة فى فكّه ، وفى كل عظمة من عظامه ، وسقط قلب رفاقه بين أرجلهم ، وقد أيقنوا جميعًا من أنها النهاية ..

نهاية الرائد (نور) ..

* * *

تحرّك مصراعا باب حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى صمت ، وبدا على عتبة الباب الدكتور (عبد الله) ، مدير إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية ، الذى بدا بائسًا ، مُحبَطًا ، فأشار إليه القائد الأعلى بالدخول ، وهو يسأله فى مزيج من القلق والاهتمام :

ـ هل توصّل فريقك إلى أية نتائج يا دكتور (عبد الله) ؟

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه إيجابًا ، ومطّ شفتيه ، وهو يتّجه نحو مكتب القائد الأعلى ، ويلقى جسده فوق مقعد مقابل

له ، وعلى الرغم من أن إجابته كانت توحى بالنجاح ، إلّا أن ملامحه كانت تفتقر إلى أية دلالة ، من دلالات الظفر ، مما دعا القائد الأعلى إلى أن يكرّر سؤاله فى قلق متزايد :

ـ هل توصّلتم إلى أية نتائج ؟

زفر الدكتور (عبد الله) فى عمق ، قبل أن يقول فى يأس :

ـ نعم .. ولكنها ليست مشجّعة على الإطلاق .

سأله القائد الأعلى فى توتّر :

ـ كيف ؟!

أجابه الدكتور (عبد الله) فى ضيق :

ـ لقد درسنا كل الأفلام المجسّمة، التى صوّرت معركة مقاتلاتنا مع المقاتلة الفضائية المجهولة، وتلك التى التُقِطَت لسفينتها الأم، قبل أن تتعطّل كل أقمارنا الدفاعية .. ولقد أثبتت دراساتنا أن الأسلحة التى نُواجهها من طراز مخيف، شديد القوّة والبأس، وأنه يعود إلى تكنولوجيا فائقة التطوّر، أكّد أكثر علمائنا تفاؤلًا أننا لن نتوصّل إليها، قبل القرن الثلاثين على الأقل.

هتف القائد الأعلى فى ذُعر :

ـ يا إلَهى !!.. هذا يَعْنى أننا نعجز تمامًا عن مواجهة تلك المقاتلة !

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه إيجابًا فى أسف، وهو يغمغم:

— هذا صحيح.

عاد القائد الأعلى يغمغم فى ارتياع:

— يا إلهى!!

تنهّد الدكتور (عبد الله) مرّة أخرى فى عمق، ثم قال فى اهتمام مشوب بالقلق:

— الأكثر مدعاة للخوف، هو أن دراساتنا تشير إلى أن هذه المقاتلة، التى دمّرت مائة من مقاتلاتنا، والتى نعجز عن مواجهتها إلى هذا الحد، مجرّد مركبة استكشافية، يقتصر عملها على دراسة كوكبنا، قبل وصول باقى القوّات.

هتف القائد الأعلى:

— باقى القوّات؟!.. هل تعنى أنه غزو؟

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه موافقًا، واضطرب صوته، وهو يقول:

— نعم.. إنه غزو.. غزو لن يمكننا التصدّى له أبدًا.. إنها نهاية كوكب الأرض..

* * *

٦ — المُطَارَدَة..

من حُسْنِ حظّ (نور)، ومن حُسْنِ حظّ فريقه كله، أن (بودون) كان يعتبرهم مجرّد مخلوقات بدائية، من اليسير أن يمحُوَها بتكنولوجيته المذهلة؛ لذا فهو لم يهتمّ بقتل (نور) فى تلك اللحظة، وإنما عاد إلى مركبته، يفحصها فى اهتمام؛ ليقدّر حجم التلف، الذى أحدثه بها (نور)..

ولم يصدّق (نور) أن الفضائى قد تجاهله، ولكنه انتهز الفرصة، فقفز واقفًا على قدميه، وأسرع نحو رفاقه، واستقبلته (سلوى) باكية، هاتفة:

— حمدًا لله يا (نور).. حمدًا لله.. لقد تصوّرت أننى سأفقدك إلى الأبد.

أجابها فى صوت مازال الانفعال يجتاحه:

— ليس بعد يا عزيزتى.. يبدو أن ذلك الفضائى لم يشأ قتلى.

غمغمَ (رمزى) فى توتّر شديد:

— بل هو لم يبالِ يا (نور)، فلقد اختبر إمكاناتنا، وبات يعتبرنا مجرّد حشرات، يمكنه سحقها فى أيّة لحظة يشاء.

التفت إليه (نور)، قائلًا فى حَنَق:

— إنك تثير غيظي بتلك المصطلحات ، التي تستخدمها يا (رمزي) .

أجابه (رمزي) في جدّة :

— إنني أحاول التحدُّث بلسانه وعقليته يا (نور) .

هتف (نور) في عصبيّة :

— حسنًا .. سنثبت له أنه حتى الحشرات ، تقاتل من أجل حريتها وبقائها .

غمغم (محمود) في توتُّر :

— كيف يا (نور) ؟.. لقد رأيت بنفسك أننا لا نساوي شيئًا ، أمام أسلحته المذهلة .

صاح به (نور) في غضب :

— انفض عنك روح اليأس يا (محمود) .. انفضوا عنكم جميعًا ذلك الاستسلام البغيض .. وتذكَّر عبارتك يا (محمود) ، حينما قلت : إننا نفضِّل الموت ، على الفرار من عدوّ ، يسعى لاغتصاب وطنك .. إننا سنقاتل يارفاق .. سنقاتل ولو اضطرنا الأمر إلى أن نقاتل بالعصيّ والحجارة .

انتقل حماسه إليهم ، فهتفوا جميعًا في آن واحد :

— نعم يا (نور) .. سنقاتل .

* * *

نقلت أجهزة (بودون) إليه ذلك الحديث ، الذي يفيض حماسًا وإصرارًا ، إلا أنه لم يُعِر الأمر التفاتًا ، وهو يخرج من فجوة سِرِّيَّة بالمركبة ، لوحة تشغيل إضافية ، ويعالجها في مهارة وسرعة ، ليستعيض بها عن تلك التي دمَّرها (نور) ..

لقد فهم كل حرف نطق به (نور) ورفاقه ، ولكنه لم يهتمّ ، فقد كان ما يزال يعتبرهم مجرَّد مخلوقات بدائية تافهة ، يسهل عليه إبادتهم وقتما يشاء ..

إنه حتى لم يشعر بالغضب ، فهو يتوقَّع في كل مهمَّة يضطلع بها ، أن يواجه بعض الخسائر ، وكان ماحدث يُعَدُّ أقلّ خسائر متوقَّعة ، أو مألوفة ، بالنسبة لما واجهه سابقًا ، في كواكب أخرى ، على الرغم من أن استبدال لوحة التشغيل كان يحتاج منه إلى نصف ساعة كاملة ..

وفي أعماقه قرَّر أن يصلح مركبته أوَّلًا ، ثم يلتفت إلى تدمير (نور) وفريقه .

ولقد قرَّر أن يدمِّرهم تدميرًا كاملًا ..

* * *

همست (سلوى) لـ (نور) ، وهو يقود الفريق نحو مستشفى (حورس) المركزيّ :

— ماذا تتوقع أن نجد فى المستشفى يا (نور) ؟
أجابها فى اقتضاب :
— أسلحة .
هتف (رمزى) فى دهشة :
— أية أسلحة ؟! .. إنه مجرد مستشفى ، وليس مخزنًا للجيش .
زفر (نور) فى حنق ، ثم التفت إلى (سلوى) ، يسألها فى جدة :
— هل يمكنك صنع جهاز شوشرة صوتى ، فى أقل وقت ممكن ؟
أشارت إلى ساعتها ، وهى تغمغم فى دهشة :
— إننى أحمل واحدًا باستمرار .. ولكن لماذا ؟
انحنى دون أن ينبس ببنت شفة ، وضغط زر ساعتها ، ثم تنهد فى ارتياح ، قائلًا :
— لأننى أعتقد أن ذلك الفضائى الوغد يلتقط كل كلمة نتفوه بها ، ويفهمها جيدًا ، بدليل أنه يتحدث بلغتنا ، والخطوة الأولى لمقاتلته ، هى منعه من سماع حديثنا .
وزفر مرة أخرى ، قبل أن يستطرد فى حزم :
— بعدها يمكننا أن نبذل أرواحنا فى سبيل الوطن .. بل فى سبيل كوكبنا كله ..

* * *

اضطربت أجهزة (بودون) ، وامتنعت عن نقل حديث (نور) ورفاقه إليه ، بعد أن بدأ جهاز (سلوى) عمله ، وبث هذا بعض الحنق فى أعماق (بودون) ، إلا أنه لم يتوقف عن العمل فى لوحة التشغيل الإضافية ، حتى يعيد القوى المحركة إلى مركبته ، التى هى سلاحه الأول فى مواجهة الأرضيين ..
وبينما هو يصلح لوحته ، ويعدها ، راح يملى الجزء الأخير من تقريره ، على المكعب الأزرق التالى ، قائلًا بصوته الرنان :
— من الواضح أن بعض سكان (سينا ٣) ، يتمتعون بروح قتالية مقبولة ، فالكائنات الأربعة الباقية فى المدينة ، مازالت تواصل محاولاتها لمواجهتى ، ولكن أساليبهم بدائية للغاية ، وتافهة ، وكان يمكننى قتلهم منذ اللحظة الأولى ، ولكننى فضلت تركهم بعض الوقت ، لدراسة أساليبهم ومحاولاتهم ، باعتبار أنهم أفضل عينة تم العثور عليها حتى الآن ، فلقد نجحوا فى فهم تكنولوجية المركبة ، وأصابوها ببعض التلف ، ولكنه تلف قابل للإصلاح ، وسأمنحهم فرصة العثور على وسيلة جديدة للقتال ، حتى أنتهى من إصلاح المركبة ..
وابتسم فى سخرية ، وهو يستطرد :
— وبعدها سأسحقهم سحقًا ..

* * *

تلفتت (سلوى) حولها ، داخل معمل مستشفى (حورس) المركزى ، وهى تقول فى حَيْرة :

— أين الأسلحة التى تتحدث عنها يا (نور) ؟

أجابها (نور) ، وهو ينتقى بضع زجاجات ، من أرفف المعمل :

— هاهى ذى يا (سلوى) .. قنابل المولوتوف ، والنيتروجلسرين .

صعقت إجابته رفاقه ، فاتسعت عيونهم فى دهشة واستنكار ، وتسمروا فى أماكنهم لحظة ، ثم هتف (محمود) فى حَنَق :

— هل تعنى أننا سنقاتل رجلًا ، يحمل أسلحة تكنولوجية رهيبة ، ببعض الكيماويات ، التى لم يَعُد أحدٌ يقاتل بها ، منذ النصف الثانى من القرن العشرين ؟

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

— هناك أيضًا جهاز ليزر قوىّ ، فى قسم الجراحة بالمستشفى و .....

قاطعه (رمزى) فى حِدّة :

— وماذا يا (نور) ؟.. لقد رأيت بنفسك أن هذا الغازى لايتأثر باللّيزر مطلقًا !

أشار (نور) إلى رأسه ، وهو يقول :

— معركتنا هذه المرّة ، لن تعتمد على نوع السلاح يارفاق ، ولكن على خطّة العمل .

قالت (سلوى) فى توتُّر :

— ماذا تعنى يا (نور) ؟

ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

— لقد أثبت ذلك الفضائىّ أنه الأكثر قوّة ، فيما يتعلّق بالأسلحة ، ولكننا سنثبت له أننا مازلنا الأقوى .. بالنسبة للذكاء .

ثم اكتسى صوته بالصرامة ، وهو يستطرد :

— سنغيِّر مسار المعركة هذه المرّة يارفاق ، سنحوّلها إلى معركة يخوض فيها الذكاء وحده ، حربًا قاسيةً ضدّ القوّة .. معركة القوّة والذكاء ..

* * *

انتهى (بودون) تقريبًا من إعداد لوحة التشغيل الإضافية ، واستعدّ لتركيبها فى المكان المحدّد لها ، فى كابينة القيادة ، وهو يغمغم فى هدوء :

— مَرْحَى أيها الأرضيون .. لقد أصبحت نهايتكم وشيكة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى سقطت زجاجة صغيرة ، تحوى سائل النيتروجلسرين ، على بعد متر واحد من مركبته ، ودوّى

انفجار شديد ، ارتجت له المركبة ، إلا أنها لم تصب بخدش واحد ، فرفع (بودون) عينيه فى دهشة ، فى نفس اللحظة التى دوّى فيها انفجار آخر ، على الناحية الأخرى لمركبته ، فمطّ شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول فى غضب :

ــ يا للسخافة !.. إن مركبتى لن تتأثر مطلقًا ، بتلك الأسلحة البدائية :

ــ ومع آخر حروف عبارته ، اخترقت زجاجة من قنابل المولوتوف ذلك الوهج البنفسجى ، الذى يحيط بالمركبة ، وارتطمت بها ، فانفجرت ، وسال منها الكحول المشتعل ، ليغمر الجزء الذى حدث فيه الانفجار ، فابتسم (بودون) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ يا للغباء !! هل يتصوّرون أن تخيفنى النار ؟

توالت الانفجارات أمامه ، وهو يراقبها فى سخرية وازدراء ، حتى انتبه فجأة إلى صوت أشبه بالفحيح ، يأتى من خلفه ، فالتفت إليه فى حركة حادّة ، وتطلّع فى استخفاف إلى خيط من أشعة الليزر ، ينطلق من مبنى قريب ، ويخترق الأرض خلف مركبته ، صانعًا نصف دائرة ..

وفى هدوء .. صوّب (بودون) قضيبًا صغيرًا ، نحو المصدر

الذى تنطلق منه أشعة الليزر ، فانطلقت من القضيب أشعة أرجوانية ، أصابت جهاز الليزر فى دقّة ، فانفجر فى قوّة ، محطّمًا شرفة المبنى ، الذى كان يحتضنه ..

ولكن الصوت الأشبه بالفحيح لم يتوقّف ..

وعاد (بودون) يلتفت إلى الأمام ، وضاقت حدقتاه فى حيْرة ، حينما شاهد خيطًا آخر من أشعة الليزر ، يكمل حفر الدائرة حول مركبته ، من مبنى آخر ، فتساءل مغمغمًا :

ــ ما الذى يستهدفه هؤلاء الكائنات ؟

لم يحاول تدمير جهاز الليزر الثانى هذه المرّة ، وإنما راح يتابع عمله فى شغف وفضول ، حتى شعر فجأة بارتجاج شديد ، وباهتزاز عنيف ، فهبّ من مكانه ، وتطلّع إلى الأرض تحت مركبته فى توتّر .. وهنا فقط ، علم ما اللذى كان يستهدفه (نور) ورفاقه ..

لقد كانت مركبته تستقرّ فوق سطح ممّر ضخم ، ينطلق داخله مترو الأنفاق عادةً ، بين أحياء المدينة الجديدة ، ولقد أدرك (نور) ورفاقه هذه الحقيقة ، فعملوا على أن يسقطوا مركبته فى ذلك الفخ ..

ولقد نجحوا ..

لقد شتتوا انتباه (بودون) بانفجاراتهم ، وشقوا الأرض حول مركبته ، فهوت داخل النفق .

لم تتحطم المركبة بالطبع ، ولكنها خرجت من دائرة الصراع .. مؤقتًا .

وارتج جسد (بودون) فى قوة ، وامتلأت أعماقه بالغضب والحنق ، حينما ارتطمت مركبته بقرار الممر ..

كان يعلم أن مركبته لن تتعرض لأدنى سوء ، من جراء الارتطام ، ولكن مبعث غضبه وحنقه ، هو أن تلك المخلوقات ، التى كان يعتبرها مجرد مخلوقات بدائية ، قد نجحت فى خداعه ..

ولقد بقى فى مركبته صامدًا ، يشتعل بنيران الغضب ، وقنابل المولوتوف ، والنيتروجلسرين تسقط من الفجوة ، التى سقط منها ، لتنفجر على جدران المركبة وحولها ..

وقرر (بودون) أن يعدل خطته ..

قرر أن يبدأ بالتخلص من (نور) وفريقه ، ثم يكمل إصلاح مركبته على مهل ..

وفى غضب ، أخرج (بودون) من مركبته قفازين سميكين ، تنتهى أطرافهما بأقراص صغيرة لامعة ، وارتداهما فى كفيه ، ثم أخرج خوذة ضخمة ، ثبتها فوق رأسه فى إحكام ، ثم اختبر قدراتها وأسلحتها فى سرعة ، وغادر مركبته ، ثم قفز

قفزة مذهلة ، ليعبر الفجوة ، ويستقر على حافتها الخارجية ، وسط ساحة المدينة ، ووقف ثابتًا ، جامدًا ، كتمثال من الصلب ، حتى بدأت الأجهزة المتطورة الفائقة ، التى تحويها خوذته ، فى تنقية الأصوات ، وإلغاء فاعلية جهاز الشوشرة ، الذى تخفيه (سلوى) فى ساعتها ، ثم نقلت إليه صوت (نور) واضحًا ، وهو يقول لرفاقه :

ــ يبدو أننا قد أثرنا غضب ذلك الفضائى، فقد تأهب لمقاتلتنا ، فى زى يشبه فرسان العصور الوسطى من القرن العشرين .

أدار (بودون) عينيه إلى مصدر الصوت ، ونقلت إليه أجهزته صوت (سلوى) المرتجف ، وهى تقول :

ــ إنه يبدو مخيفًا حقًّا ، فى هذا الزى يا (نور) ..

رفع (بودون) كفه ، ذات القفاز ، نحو المبنى الذى يأتى منه الصوت ، وغمغم فى صرامة :

ــ إنكم لم تشاهدوا الخوف ، الذى يمكنه أن يلقيه فى قلوبكم بعد .

وبانقباضة بسيطة لأصابعه ، تألقت الأقراص الصغيرة فى أطراف القفاز ، ثم انطلقت منها شرارات كهربية قوية ، أشبه بالبرق ، وهوت على ذلك المبنى ، الذى يختبئ داخله (نور) ورفاقه ..

هوت كالصاعقة ..

* * *



ثم قفز قفزة مذهلة ، ليعبُر الفجوة ، ويستقرّ على حافتها الخارجية ، وسط ساحة المدينة ، ووقف ثابتًا ، جامدًا ..

٧ ـ بين الأرض و (أرغوران) ..

هوَت صاعقة (بودون) على جدار المبنى ، فنسفته نسفًا ، وأطاحت بـ (نور) ورفاقه إلى الجدار المقابل ، وأصابتهم شظايا الأحجار بجروح متفرّقة ، وهتفت (سلوى) فى ذُعْر :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد عرف موقعنا .

قفز (نور) واقفًا على قدميه ، وعاون رفاقه على النهوض ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ يبدو أن تلك الخوذة تتيح له سماع أحاديثنا .

صاح (محمود) فى ذُعْر :

ـ ربَّاه !!.. هذا يعْنِى أنها نهايتنا .

دفعهم (نور) أمامه ، وهو يعْدُوَ مُبتعدًا عن المكان ، صائحًا :

ـ اجرُوا يا رفاق .. لا تسمحوا لذلك الفضائى الوغد باصطيادكم ، والزموا الصمت تمامًا ، حتى نحرم ذلك المحتلّ سلاحه .

انطلق الجميع يعدُون بأقصى سرعة ممكنة ، فى نفس اللحظة التى هوَت فيها صاعقة أخرى ، من صواعق (بودون) على المبنى ، فأطاحت بجداره المقابل ، فى انفجار مدوٍّ هائل ..

وغادر (نور) ورفاقه المبنى ، من مخرجه الخلفىّ ، وانطلقوا يعدُون نحو مبنى آخر بعيد ، على حين واصل (بودون) إطلاق

صواعقه على المبنى الأول ، حتى دكه دكًا ، ثم توقف ، وتلفت حوله ، وكأنما يحاول التقاط حديثهم مرة أخرى ..

والتصق الجميع بجدار المبنى الذى انتقلوا إليه ، وحبسوا أنفاسهم ، وودوا لو أمكنهم إيقاف نبض قلوبهم ، حتى لا يصدر عنهم أدنى صوت ، يمكنه أن يرشد (بودون) إلى مخبئهم ..

وتساءل (بودون) أين ذهب (نور) ورفاقه ، إلا أن تساؤله لم يطل ، فقد ضغط زرًا صغيرًا فى خوذته ، فتحولت شاشتها إلى اللون الأحمر ، وبدأ جهاز اللاقط الحرارى داخلها يعمل ، وهو يواصل التلفت حوله ، بحثًا عنهم ..

والتقط جهازه حرارة أجسادهم ، وتبين له مخبؤهم ، فابتسم فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـــ لا فائدة يا كائنات (سيتا ٣) .. لن تفلتوا من (بودون) أبدًا ..

ثم رفع كفه نحو مخبئهم الجديد .. وأطلق صاعقة أخرى ..

* * *

ارتج المبنى كله ، إثر صاعقة (بودون) ، وتهاوت جدرانه محطمة ، متهالكة ، فعاد (نور) وفريقه يواصلون عدوهم وفرارهم ، من ذلك العدو المخيف ، وعجزت (سلوى) عن مواصلة الصمت ، فصاحت فى رعب :

ـــ كيف توصل إلينا هذه المرة ؟

أجابها (محمود) ، وهو يلهث فى عنف :

ـــ يبدو أن خوذته تحوى لاقطًا حراريًا .

توقف (نور) بغتة ، وهو يهتف :

ـــ لاقط حرارى ؟!

هوت فى تلك اللحظة صاعقة أخرى ، من صواعق (بودون) ، فألقى بهم الانفجار أرضًا ، ولكن (نور) قفز واقفًا على قدميه ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ هل بقيت مع أحدكم واحدة من قنابل المولوتوف ؟

ناوله (رمزى) زجاجتين صغيرتين ، وهو يقول فى توتر :

ـــ مازلت أحتفظ باثنتين .

اختطفهما (نور) من يده فى خفة ، وأشعل فتيليهما بمسدسه الليزرى ، ثم ألقاهما بعيدًا فى قوة ، فانفجرتا ، واشتعل اللهب ، فصاح (محمود) ، وقد تهللت أساريره :

ـــ لقد فهمت .. لقد فهمت يا (نور) .. إنك تبطل عمل لاقطه الحرارى ، بحرارة شديدة .

وضع (نور) سبابته على فمه محذرًا ، وهو يهمس :

ـــ وعلينا أن نبطل سلاحه الآخر بالصمت .

عاد الجميع يلوذون بالصمت ، وهم يواصلون عدْوَهم ..

وعلى بعد مائة متر منهم ، غمغم (بودون) ، وهو يتحدَّث إلى المكعَّب الأزرق :

ـــ لقد أظهرت الكائنات الأربعة ذكاءً جيّدًا هذه المرّة ؛ فقد أدركوا الوسيلة التي عثرت عليهم بواسطتها ، وأبطلوا مفعولها بأسلوب ذكي فعّال ، على الرغم من بدائيته ، ولكنني مازلت أملك وسيلة جديدة للعثور عليهم ، وسأعمل على اختبارها فورًا ..

وبضغطة رقيقة على زرٍّ آخر ، في نهاية الخوذة ، ارتفع فوقها مستطيل مَعدنيّ صغير ، راح يدور حول نفسه في بطء وهدوء ، واصطبغت شاشة الخوذة بلون برتقاليّ ، ثم ارتسمت عليه أربعة أشكال حمراء ، تعْدُو في سرعة ، فرفع (بودون) كفّه نحوها ، وأطلق صاعقة جديدة ..

* * *

كان الانفجار هذه المرّة عنيفًا ، ألقى أجساد (نور) ورفاقه عاليًا ، قبل أن يسقطوا أرضًا ، وتأوّهت (سلوى) في ألم ، وهي تقول في يأس :

ـــ لافائدة .. لقد كشف أمرنا أيضًا .

سألها (نور) في حيْرة :

ـــ كيف ؟

اعتدلت جالسة في صعوبة ، وهي تغمغم :

ـــ لاشك أنه يملك وسيلة أشبه بالرّادار .. الرّادار العاديّ ، الذي يعتمد على إرسال موجات ثابتة منتظمة ، ترتدّ عند اصطدامها بأجسام صلبة .. ولكن من الواضح أن راداره من نوع خاص ، يلتقط فقط الأجسام الحيّة ، أو المتحرّكة .

أنّ (محمود) في ألم ، وهو يقول في مرارة :

ـــ لافائدة .. إنه سيظفر بنا ، مهما حاولنا .

انعقد حاجبا (نور) في غضب وصرامة ، وهو يقول :

ـــ هذا لايَنبغي أن نستسلم .

ثم نهض في حزم ، مستطردًا :

ـــ واصلوا فراركم يارفاق ، أمّا أنا ، فسأتبع خطّة (نابليون) .

ثم انطلق يَعْدُو في الاتجاه المضاد ، فهتفت (سلوى) في ارتياع :

ـــ (نور) !!.. إلى أين ؟

هتف بها (رمزى) :

ـــ لاتوقفيه يا (سلوى) .. فلنواصل نحن عدْوَنا ، حتى لانفسد خطّة (نور) .

تفجَّرت فى تلك اللحظة صاعقة أخرى عند أقدامهم ، فقذفت أجسادهم عاليًا مرَّة ثانية ، وألقتهم أرضًا ، على بعد ثلاثة أمتار ، فصرخ (رمزى) :

ـــ واصلوا الفرار .

قفز الثلاثة على أقدامهم ، وانطلقوا يَعْدُون بأقصى سرعة ، على حين هتفت (سلوى) فى هلع :

ـــ وماذا عن (نور)؟.. ماالذى كان يَعْنيه بخطَّة (نابليون)؟

أجابها (رمزى) فى صوت لاهث :

ـــ إنها الوسيلة الوحيدة الباقية يا (سلوى) ، ولقد أدرك (نور) ذلك .

صرخت فى مرارة :

ـــ وما هى ؟.. ما تلك الوسيلة ؟

أجابها فى حزم :

ـــ الهجوم يا (سلوى) .. لقد كان (نابليون بونابرت) ، القائد الفرنسى الشهير ، يؤمن بمبدإ واحد ، وهو أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع .

كان (بودون) يتساءل فى حَيْرة ، عن أين ذهب الكائن الأرضىّ الرابع ، ولكنه لم يكد يسمع عبارة (رمزى) الأخيرة ، حتى أدرك أين هو ..

ففى نفس اللحظة ، التى فهم فيها (بودون) عبارة (رمزى) ، انقضَّ عليه (نور) من الخلف ، بعد أن تسلَّل إليه فى براعة ..

وفى مواجهة مباشرة صريحة ، اشتبك مندوب كوكب الأرض ، مع مبعوث (أرغوران) ..

* * *

نهض الدكتور (عبد الله) واقفًا فى احترام ، حينما فوجئ بالقائد الأعلى يدلف إلى مكتبه ، ووجهه يحمل علامات الاهتمام والقلق ، فغمغم فى حَيْرة :

ـــ مرحبًا بك فى مكتبى أيها القائد .. هل هناك من جديد ؟

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

ـــ أجل يا دكتور (عبد الله) .. هناك الكثير .

ثم وضع أمامه بضع صور فوتوجرافية ، مستطردًا فى اهتمام :

ـــ لقد التقط رجالنا هذه الصور ، لما يحدث فى (حورس) .

هتف الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يلتقط الصور :

ـــ كنت أظن أشعة تلك المقاتلة الفضائية تمنع التقاط أيَّة صور .

أجابه القائد الأعلى :

ـــ لقد كشفنا بالمصادفة أن هذا ينطبق على الصور الهولوجرافية المجسَّمة ، التى تعتمد على أشعة الليزر ، ولكنه لا ينطبق على التصوير الشمسىّ العادىّ .

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه متفهمًا ، وراح يفحص الصُوَر فى إمعان ، ثم لم يلبث أن هتف فى انفعال :

— يا إلهى !!.. متى تم التقاط هذه الصُوَر ؟

أجابه القائد الأعلى :

— منذ ساعة واحدة .

هتف الدكتور (عبد الله) :

— ولكن هذه الصور تعنى أن (نور) وفريقه مازالوا على قيد الحياة .. أو أنهم كانوا كذلك منذ ساعة على الأقل ، وأنهم يقاتلون فى شراسة ، وأن خصمهم ليس سوى رجلٍ واحدٍ .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

— هذا صحيح .. إنه مقاتل واحد .. ولكنه مقاتل خرافى ، يعجز جيش كامل عن مواجهته .

صاح الدكتور (عبد الله) :

— ولكنهم يواجهونه وحدهم .

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

— نعم .. وإن كنت لست أدرى لماذا فعلوا ؟!.. لقد كانت مهمتهم تقتصر على جمع المعلومات ، فلماذا لجئوا إلى القتال المباشر ؟!

هزّ الدكتور (عبد الله) كتفيه ، وهو يقول فى ثقة :

— لا ريب أن ذلك كان حتميًا ، فنحن نعلم أن الرائد (نور) يواجه الأمور دائمًا بحكمة .

شرد القائد الأعلى ببصره ، وهو يغمغم :

— هذا صحيح .

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى قلق :

— ولكن ذلك جعل الأمر يتخذ بعدًا جديدًا .. فلقد أصبحت المواجهة الآن مباشرة ، بين الأرض ، وكوكب ذلك المقاتل الفضائىّ المجهول ..

* * *

لم يتذكّر (نور) تلك اللكمة الهائلة ، التى وجّهها إليه (بودون) من قبل ، داخل مركبته ، والتى تشفّ عن قوّة خارقة ، يتمتّع بها ذلك الأرغورانى ، إلّا بعد أن اشتبك معه بالفعل ..

ولقد كانت انقضاضة (نور) ناجحة ، إلى حدّ أنها أفقدت (بودون) توازنه ، فسقط أرضًا ، وسقط (نور) فوقه .. ولكن الخطوة التالية كانت فاشلة تمامًا ، فقد دفع (بودون) (نور) فى قوّة ، وألقاه بعيدًا ، ثم نهض واقفًا ، واستدار يواجهه فى صرامة ..

وازدرد (نور) لعابه ، أمام ذلك المشهد المخيف ، وتلك القوّة الخارقة ، ثم عاد يقف على قدميه ، ويحاور (بودون) فى حركات مستمرّة سريعة ، ولكن (بودون) كان صاحب الانقضاضة هذه المرّة ..

وفى حركة فائقة السرعة ، وجد (نور) نفسه بين براثن (بودون) ، الذى رفعه عاليًا فى خِفّة وقوّة ، ثم قذف به أرضًا فى عُنف ، فارتطم ظهر (نور) بالأرض فى قوّة ، وشعر بآلام مبرّحة فى عموده الفقرىّ ، وأدرك استحالة النصر على مثل ذلك الخصم ، وأيقن من هلاكه لا محالة ..

إلّا أنه عاد يقف ، ويواصل القتال ..

كان يفعل ذلك ، على الرغم من يأسه من الظفر ؛ لأنه كان يعلم أن الأمل الوحيد — فى نجاة رفاقه — يكمن فى مواصلة القتال إلى أطول مدّة ممكنة ؛ ليتيح لهم فرصة الفرار من ذلك المقاتل الشرس ..

وفجأة .. اتسعت عينا (نور) فى ذُعر ، حينما وقع بصره على رفاقه ، الذين حسموا أمرهم ، وقرّروا ألّا يتركوه وحده ، فعادوا أدراجهم ، ليُسهموا معه فى قتال (بودون) ..

وصرخ (نور) فى هلَع :

ولقد كانت انقضاضة (نور) ناجحة ، إلى حدّ أنها أفقدت (بودون) توازنه ، فسقط أرضًا ، وسقط (نور) فوقه ..

— كلَّا .. ابعدوا ..

ولكنه أدرك ، بعد أن انطلقت صرخته ، أنه كان على خطإ ؛ فقد نبّهت صرخته (بودون) ، إلى وجود من ينقضّ عليه من الخلف ، فاستدار يواجه رفاق (نور) ..

وهنا أطلق (نور) صرخة قتالية هائلة ، وانقضّ على (بودون) فى شراسة فهد جائع مفترس ..

وبكل ما يملك من قوّة ، ضمّ (نور) قبضتيه ، وهوَى بهما على مؤخرة عنق (بودون) ..

وترنّح (بودون) لحظة ، ثم استعاد توازنه فى سرعة ، ودار على عقبيْه ، ولكمَ (نور) لكمة هائلة ، أطاحت به لثلاثة أمتار ، وألقته أرضًا فى عنف ..

وانتزع (بودون) كرةً معدنية برّاقة من حزامه ، وضغطها بأنامله ، فانطلقت من حولها فقّاعة ، اتجهت فى سرعة نحو (محمود) و(رمزى) و(سلوى) ، الذين تسمّروا فى فزع ، واتسعت عيونهم فى ذُعر ، وقبل أن يتخلّوا عن جمودهم ، أحاطت بهم الفقّاعة ، وسجنتهم داخلها فى إحكام ..

وصرخ (نور) فى لوعة ، حينما رأى زوجته ورفيقيه داخل ذلك السجن المخيف ، وقفز واقفًا على قدميه ، وهو يهتف فى غضب :

— سأقتلك أيها الفضائى .. سأقتلك .

التفت إليه (بودون) فى برود ، ثم ضمّ كفّيه ، فتألّقت كل أطراف قفّازيه دفعة واحدة ، وانطلقت منهما موجة زرقاء عنيفة ، ارتطمت بجسد (نور) ، فمادت به الأرض ، وارتجّ مخّه داخل جمجمته فى عنف ، وشعر ببرودة كالثلج تعتريه ، وأظلمت الدنيا من حوله ، ثم سقط كقطعة واحدة من الحجر ..

وابتسم (بودون) فى سخرية وظفَر ..

واتسعت عيون (رمزى) و(محمود) فى رُعب وهلَع .

وصرخت (سلوى) فى ارتياع ..

لقد انتهت المباراة ..

وانتصر كوكب (أرغوران) .

* * *

٨ — لُعْبَة المَوْت ..

سبح جسد (نور) ، بلا توازن أو نظام ، فى بحر هائل من الظلام الدامس ..

بحر مخيف ..

رهيب ..

ومن بعيد .. بعيد جدًا .. ظهرت نقطة دقيقة مضيئة ..

وأخذت تلك النقطة تكبر .. وتكبر ، وكأن (نور) يقترب منها فى سرعة كبيرة ..

أو كأنها هى التى تقترب ..

وتحولت النقطة إلى دائرة ، ثم إلى كُرَة ..

كُرَة ضخمة تشعّ بضوء مُبهر ، جعلها تبدو أشبه بشمس تهوى .. أو يهوى إلى قلبها (نور) ..

وفجأة .. توقّفت تلك الشمس ، وغمر ضوءها كل شىء ..

ثم اختفت ..

اختفت ليظهر مكانها شخص واحد ..

(بودون) ..

واستعاد جسد (نور) بغتة توازنه ..

ووقف (نور) على قدميه ..

أو بمعنى أدق .. اعتدل ، وأصبح يواجه (بودون) ..

وفى هدوء وبرود ، رفع (بودون) كفّه ، ذات القفاز المخيف ، نحو (نور) ، وتألّقت أطراف قفازه ، وأدرك (نور) أنه عليه أن يَعْدُوَ ، وأن يبتعد ..

أو يقضى نحبه بصواعق (بودون) ..

وحاول (نور) أن يبتعد ، ويتفادى الصاعقة القاتلة ..

جاهد ليفعل ..

ولكن قدميه كانتا ثقيلتين ، مسمَّرتين ، كأنهما منغرزتان فى أطنان من الصخور والفولاذ ..

ولم تعُد هناك فائدة ..

وأطلق (بودون) صاعقته ، نحو رأس (نور) مباشرة ..

وانتفض جسد (نور) فى قوّة ، ثم .....

استعاد وعيه دفعة واحدة ..

ظلّ جسد (نور) يرتجف لحظات ، من أثر ذلك الانفعال الشديد ، الذى أورثه إيّاه كابوسه البشع ، واتسعت عيناه ، وهو يتطلّع إلى المشهد الماثل أمامه مشدوهًا ، وخفق قلبه فى عنف ، حينما رأى زوجته وزميليه يهُبّون من أماكنهم ، داخل تلك الفقاعة اللامعة ، التى أحاطهم بها (بودون) ، ويتطلّعون إليه

في لهفة وارتياع ، ورأى الدموع تنهمر من عيني (سلوى) ، وشفتيها تغمغمان بشيء ما ، عزلته جدران الفقاعة عن مسامعه ، وسمع من خلفه صوتًا رنانًا ، يبدو وكأنه يأتي من أعماق سحيقة ، يقول في برود :

ـــ لقد استعدت وعيك بسرعة أيها الرائد الأرضي .

أراد (نور) أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، إلا أن محاولته نبهته إلى أنه مقيد في إحكام ، إلى ذلك المقعد المخملي ، الذي يجلس فوقه ، وأن عنقه محاط بشريط صلب ناعم ، وأنه هناك غلاف لدن شفاف يحيط برأسه ، ويمنعه من تحريكه ..

ومن طرف عينه ، لمح (نور) (بودون) يأتي من خلفه إلى جواره ، ثم يسير إلى مواجهته ، ويخفض عينيه إليه .....

والتقت مرة أخرى عينا (نور) بعيني (بودون) ، الذي ظل يتأمل (نور) لحظات في صمت ، ثم قال في هدوء :

ـــ لقد انتزعت من رأسك كل ما أريد معرفته أيها الأرضي ، وعلمت أنك تحتل مركزًا متميزًا في كوكبك ، وأنك مثلي ، تعمل لحساب جهاز مخابرات .

غمغم (نور) في حنق :

ـــ كلا يا (بودون) .. إننا نختلف كثيرًا .

لم يكد (نور) ينطق عبارته ، حتى اعترته دهشة عارمة ..

لقد أدهشه أنه خاطب (بودون) باسمه ، الذي بدا له ، لحظة النطق به ، عاديًا مألوفًا ، على الرغم من أنه لم يسمع (بودون) يتفوه به من قبل ..

وأدهشه أكثر أنه قد خاطب (بودون) بلغة عجيبة .. لغة لا مثيل لها على كوكب الأرض ..

لغة (أرغوران) ..

وتجلت دهشته في ملامحه ، فابتسم (بودون) ، قائلًا :

ـــ لا تجعل هذا يدهشك .. إنني أتحدث إليك ، منذ أن استعدت وعيك ، بلغتي أنا .. فلقد استخدمت جهازي ، لينقل من رأسك كل المعلومات اللازمة لنا ، ويضيف إليك ما أرغب في منحك إياه من معلوماتنا ..

ثم جلس في هدوء ، فوق مقعد مخملي مشابه ، وهو يستطرد :

ـــ أنت الآن تعرف اسمي ، وكوكبي ، ولغتي ، ولكنك لا تعرف شيئًا عن قوتنا ، أو استعداداتنا .. أما أنا ، فلقد حصلت من عقلك على معلومات تفوق أقصى ما كنت أطمح إليه .. فأنت واسع الاطلاع ، عبقري ، لك عقلية نادرة ، حتى بالنسبة لسكان كوكبي العظيم (أرغوران) ..

تطلّع (نور) إلى عينى (بودون) فى تحدٍّ ، وهو يقول :

ـــ لماذا لم تقتلنا ؟

بدا (بودون) باردًا ، مخيفًا ، وهو يجيب :

ـــ لقد كانت هذه خطتى فى البداية ، حتى تغلّبت عليكم ..
عندئذ رأيت أنكم عيّنات مثالية ، تصلح لفحص جيّد ، وسيسرّ علماء كوكبى أن يدرسوكم عن قُرب .

ارتفع حاجبا (نور) ، وهو يقول فى حِدّة :

ـــ هل تنوى حملنا إلى (أرغوران) ؟

أجابه (بودون) فى برود :

ـــ بالتأكيد .

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وهو يقول :

ـــ أنت حقير يا (بودون) .

لم يغضب (بودون) ، ولم يثر .. وإنما أجاب فى هدوء شديد :

ـــ كلّا .. لست كذلك .

ثم نهض من مقعده ، ودار حول مقعد (نور) فى صمت ، وملامحه توحى بأنه يفكّر فى عمق ، ثم عاد يتوقّف أمام (نور) ، قائلًا :

ـــ والدليل على ذلك هو أننى سأمنحك فرصة أخرى .

سأله (نور) فى توتّر :

ـــ أيّة فرصة ؟

عقد (بودون) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـــ لعبة .. سنلعب معًا لعبة معقّدة .

ضغط (نور) أسنانه ، وهو يقول فى حنق :

ـــ أهذا ما تطلق عليه اسم (فرصة أخرى) ؟

أجابه (بودون) فى هدوء :

ـــ بالتأكيد .. فسيتوقّف مصير كوكبك كله على هذه اللّعبة .. فإما أن تنتصر فيها ، وينجو كوكبك كله ، أو تخسرها ، وتكون النهاية ..

* * *

هتف الدكتور (عبد الله) فى توتّر ، وهو يراجع الصُّوَر الجديدة ، التى أحضرها رجال المراقبة ، الذين يحيطون بمدينة (حورس) :

ـــ هل سنقف صامتين ، إزاء كل هذا ؟

سأله القائد الأعلى فى قلق :

ـــ ماذا تقترح ؟

صاح الدكتور (عبد الله) فى عصبيّة :

— أى شىء .. ينبغى أن نفعل أى شىء .

ثم دفع الصُّوَر أمامه ، وهو يستطرد فى جِدَّة :

— انظر إلى هذه الصُّوَر اللَّعينة .. من الواضح أن (نور) وفريقه قد قاتلوا فى بسالة ، على الرغم من افتقارهم للأسلحة المتطوِّرة ، التى يمكنها الصمود أمام ذلك المقاتل الفضائى ، ولكنه هزمهم فى النهاية ، وأسرهم ، ومن المحتمل أن يعمد إلى قتلهم .

عاد القائد الأعلى يكرِّر :

— حسنًا .. ماذا تقترح ؟

هتف الدكتور (عبد الله) فى جِدَّة :

— أن نقاتل مثلهم .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لقد حاولنا ، وخسرنا مائة من أفضل مقاتلاتنا ومقاتلينا .

صاح الدكتور (عبد الله) :

— هذا لا يعنى أن نتوقَّف .. ينبغى أن نواصل القتال ، ما دام فينا رجل واحد على قيد الحياة ، وما دامت فى أجسادنا عروق تنبض .

أجابه القائد الأعلى فى حزم :

— هذا صحيح .. لا ينبغى أن نستسلم أبدًا ..

ثم ضغط زرّ جهاز التليفيديو الخاص ، الموضوع أمام مكتبه ، وهو يستطرد فى لهجة صارمة آمرة :

— نداء خاصّ ، إلى قادة جميع الأسلحة .. استنفار عام .. سنشنّ هجومًا كاملًا ، بكل ما نملك من قوّة وأسلحة ، على ذلك الفضائى ، الذى يحتلّ (حورس) ..

ظهر على شاشته وجه أحد قادة القوّات ، وهو يقول فى حزم :

— يمكننا أن نضحى بالمدينة كلها ، ما دام سكّانها قد غادروها ، ونبيد المعتدى الفضائى بواحدة من قنابل البروتون ، التى تفوق القنابل الهيدروجينية القديمة مئات المرّات .

هتف الدكتور (عبد الله) فى جزع :

— وماذا عن (نور) وفريقه ؟

تطلّع إليه القائد الأعلى فى حزم ، وهو يقول :

— أيهما أكثر أهمية فى نظرك ؟.. (نور) وفريقه ، أم الكرة الأرضية كلها ؟

شحب وجه الدكتور (عبد الله) ، وأطرق برأسه فى مرارة ، وهو يغمغم :

— إنهم جزء منها .

تنهّد القائد الأعلى ، ثم التفت إلى شاشة التليفيديو ، وأجاب فى حزم :

— نعم .. يمكنكم استخدام قنبلة البروتون .. إذا لزم الأمر .

ومن عينيه انحدرت دمعة حزن ، على (نور) وفريقه ..

* * *

تساءل (نور) فى دهشة عن تلك اللُّعبة ، التى يتحدَّث عنها (بودون) ، والتى سيتوقَّف عليها مصير كوكب الأرض كله ..

وفى هدوء ، ضغط (بودون) زرًّا فى مقعد (نور) ، فتحرَّر هذا الأخير من كل قيوده دفعة واحدة ، وانزاح ذلك الغلاف اللَّدْنىّ الشفَّاف عن رأسه ، فنهض واقفًا فى تحفُّز ، وخامرته فكرة مهاجمة (بودون) مرَّة أخرى ، إلَّا أن هذا الأخير قال فى برود :

— قبل أن تلجأ إلى أيَّة حماقة ، ينبغى أن تعلم أننى قد أحطت نفسى بغلاف خاصّ من الطاقة ، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتلك الفقَّاعة ، التى سجنتُ داخلها زوجتك ورفيقيك .. وإذا ما حاولت مهاجمتى ، فستثير غلاف الطاقة ، فتنفجر الفقَّاعة ، ويلقى ثلاثتهم مصرعهم فى الحال .

شعر (نور) بحنق وسخط هائلين ، حينما وجد نفسه عاجزًا على هذا النحو ، فقال فى حِدَّة :

— حسنًا .. أين لُعبتك اللَّعينة ؟

ابتسم (بودون) فى هدوء ، وهو يقول :

— هنا .

ورفع ذراعيه فجأة ، فتحوَّل المكان حوله ، وحول (نور) ، إلى صورة هولوجرافية هائلة لفضاء شاسع ، مترامى الأطراف ، لانهائىّ ، تسبح فيه ملايين المجرَّات ، وبلايين الشموس والكواكب ، ثم ظهرت سفينتا فضاء صغيرتان فى طرفه ، وناول (بودون) (نور) عصا صغيرة ، تحمل فى أعلاها زرًّا فضيًّا ، وهو يقول فى هدوء :

— هذه العصا تتحكَّم فى حركة مقاتلتك الفضائية الصغيرة ، وعصاى تتحكَّم فى حركة مقاتلتى .. واللُّعبة بسيطة ؛ فهى تعتمد على أن نتقاتل بمقاتلتينا ، ومن يدمِّر مقاتلة خصمه أوَّلًا يفوز ..

غمغم (نور) فى دهشة :

— يا إلٰهى !! إنها أشبه بألعاب الهولوفيديو المجسَّمة ، التى يمارسها الصغار هنا .

ابتسم (بودون) ، وهو يقول فى هدوء :

— نعم .. إنها كذلك .

هتف (نور) فى حنق :

— هل تعنى أنك ستعلِّق مصير كوكب كامل على نتائج لُعبة صبيانية ؟

أجابه (بودون) فى برود :

ـ هذا صحيح .

صاح (نور) فى غضب :

ـ إننى أرفض هذه الحماقة .

قال (بودون) فى برود ، وهو يضغط عصا قيادته :

ـ ليس لك الخيار أيها الأرضى ..

وعلى الرغم من اعتراض (نور) ، بدأت اللعبة ..

لعبة الموت ..

* * *



٩ ــ الهزيمة

أقلعت مائة مقاتلة من قاعدتها المصرية ، وحلقت فى سماء (مصر) ، فى طريقها إلى الصحراء الغربية ، وانطلقت فى الوقت ذاته مئات الدبّابات اللّيزريّة ، وحاملات الجنود الإليكترونية ، ومدافع اللّيزر القويّة ..

وكانت كلها تتجه نحو هدف واحد ..

مدينة (حورس) ..

وكانت الأوامر هذه المرّة صريحة ، حازمة ، لاتقبل الجدل أو النّقاش ..

كانت عبارة عن جملة واحدة : تدمير ذلك المقاتل الفضائىّ ، مهما كان الثمن ..

نعم .. مهما كان الثمن ..

ولم يكن هذا الثمن عبارة عن مدينة خالية من السكان فحسب ، وإنما كان فريقًا من أفضل فرق المخابرات العلميّة فى العالم أجمع ..

فريق (نور) ..

* * *

التصق رفاق (نور) بجدران الفقاعة اللّامعة من الداخل ،

وهم يتابعون فى دهشة وتوتر ما يحدث بين (نور) و(بودون) ، وغمغمت (سلوى) فى قلق :

— ماذا يحدث بالله عليكما ؟

أجابها (محمود) فى حيرة :

— لست أدرى !.. يبدو أنهما يزاولان لعبة من ألعاب الهولوفيديو !

هتفت فى عصبية :

— أأصابهما الجنون ، أم أنه قد أصابنا نحن ؟

أجابها (رمزى) فى تفكير وجدية :

— لا هذا ولا ذاك يا (سلوى) .. من الواضح أن تلك اللعبة ليست مجرد مباراة عبثية ، بل إن النصر فيها قد يبدل كل الأمور ، وإلا فما قبل (نور) أن يشارك فيها .

سألته فى توتر :

— هل تعتقد ذلك ؟

أومأ برأسه إيجابا ، وهو يقول :

— نعم يا (سلوى) .. إننى أعتقد أن هذه اللعبة يتوقف عليها مصيرنا ..

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى عمق :

— بل مصير كوكب الأرض كله ..

* * *

لم يكن (نور) أبدًا من هواة مزاولة مثل تلك الألعاب ، التى بدأ انتشارها فى الثلث الأخير من القرن العشرين ، والتى تطورت مع نهايات القرن العشرين إلى ذلك النوع من الألعاب المجسمة ، التى تعتمد على صور الليزر الهولوجرافية ، والتى تجعل اللاعب يتعايش تمامًا مع اللعبة ، حتى ليبدو وكأنه يندمج فيها اندماجًا ..

ولكنه فى هذه المرة كان يلعب فى حماس شديد ..

كان يعلم أن الفوز فى اللعبة — هذه المرة — لن يعنى مجرد تحقيق رقم قياسى جديد ، أو ساعات من اللهو والمرح ، وإنما يعنى مصير كوكب بأكمله ..

لم تكن مجرد لعبة ، وإنما معركة ..

معركة بين الكواكب ..

ولكن (بودون) كان محترفًا فى هذا المجال ..

كانت هذه اللعبة واحدة من وسائل التدريب ، التى يمارسها رجال المخابرات الفضائية فى (أرغوران) ، وكان (بودون) ينتصر فيها دومًا ، ويبز فيها أقرانه على الدوام ..

ثم إن مقاتلى (أرغوارن) اعتادوا دومًا الانطلاق والتعامل بجرعات خرافية ، لم يصل أهل الأرض إلى نصفها بعد ، ولقد قفز ذلك بسرعة استجابة الأرغورانيين قفزة كبيرة ، من المستحيل أن يبلغها أهل الأرض ، قبل قرون طويلة بعيدة ..

وعلى الرغم من قلة خبرة (نور) ، إلا أنه بذل أقصى جهده ؛ لمراوغة خصمه ، ومحاورته ، والإفلات منه ، ولكن خصمه لم يكن بالخصم الهيّن ، فقد واصل مطاردة (نور) فى إصرار وعناد ، حتى وضع مقاتلته أخيرًا فى مرماه ، وغمغم بلغته ، التى لا مثيل لها على كوكب الأرض :

ـ لا فائدة أيها الأرضىّ .. إن أحدًا لم يفلت من (بودون) من قبل .

وأدرك (نور) عقم المحاولة ، إلا أنه واصل الفرار والمراوغة ، وقلبه يخفق فى عنف ، وأطرافه تنقبض فى قوّة وتوتّر ، حتى ضغط (بودون) ذلك الزّرّ الفضىّ ، فى نهاية عصا القيادة ، فانطلقت من طرف مقاتلته أشعة أرجوانية ، شقّت طريقها نحو مقاتلة (نور) فى سرعة مذهلة ، وأصابتها فى منتصفها تمامًا ، فانفجرت فى صمت ، وتناثرت أجزاؤها ، وبرقت عينا (بودون) ، وهو يقول فى حرارة وظفر وسخرية :

ـ لقد انتصر (بودون) .. لقد قتلتك أيها الأرضىّ ، وأنا الآن أمتلك كوكبك .. أمتلك كوكب الأرض كله ..

وبإشارة من يده ، تلاشى ذلك الفضاء الهولوجرافى المحيط بهما ، والتفت (بودون) نحو (نور) ، وانتزع من حزامه كُرة فضّيّة ، وصوّبها نحو بطلنا ، مستطردًا فى ظفر :

ـ أنت الآن ملكى ..

حاول (نور) أن يبتعد ، وأن يقاوم ، إلا أن فقاعة صغيرة انفصلت عن الكرة ، واندفعت نحوه فى سرعة مذهلة ، ثم أحاطت به ..

وفى نفس اللحظة ظهرت المقاتلات المصريّة فى سماء (حورس) ، وبدأت معركة جديدة ..

* * *

رفع (بودون) عينيه فى هدوء ، يتطلّع إلى تلك المقاتلات ، التى ارتفع هديرها فجأة فوق الرءوس ، وارتفعت معه عينا (نور) ورفاقه ، وهتف (نور) من داخل الفقّاعة ، التى سجنته فيها (بودون) :

ـ يا إلهى !!.. اهجموا أيها الأبطال .. قاتلوا بكل قواكم .. إنكم أملنا الأخير .. أملنا الوحيد .

وفى هدوء ، ودون ذرّة واحدة من الخوف أو القلق ، ضغط (بودون) دائرة صغيرة فى حزامه ، فأحيط جسده ببريق عجيب ، ثم تلاشى فجأة ، وعاد يظهر داخل مقاتلته (الأرغورانية) ، التى أكمل إصلاحها ، وأخرجها من قاع النفق ، قبل أن يستعيد (نور) وعيه ..



حاول (نور) أن يبتعد ، وأن يقاوم ، إلّا أن فقاعة صغيرة انفصلت عن الكرة ، واندفعت نحوه في سرعة مذهلة ، ثم أحاطت به ..

وفجأة .. وبهدير قوىّ عنيف ، أشبه بصوت طائرة تخرق حاجز الصوت ، انطلقت مقاتلة (بودون) نحو المقاتلات المصريّة ..

وأطلقت المقاتلات المائة أشعتها اللّيزريّة في آن واحد ، نحو مقاتلة (بودون) ، التي انحرفت فجأة بزاوية قائمة ، وانخفضت في سرعة مذهلة ، ثم مرقت أسفل المقاتلات ، وعادت تصعد بزاوية قائمة أخرى خلفها ، ودارت حول نفسها ، ثم توقّفت في الهواء ..

وهتف قائد المقاتلات في توتّر :

ـــ الهدف يتحرّك بسرعة مذهلة ، ولقد أصبح الآن خلف ذيول مقاتلاتنا و .....

وقبل أن يتمّ عبارته ، راحت مقاتلة (بودون) تدور حول نفسها في بطء ، وتتألّق بألوان تتبدّل في سرعة ، في تعاقب طيفيّ عجيب ، من الأصفر إلى البرتقاليّ ، إلى الأخضر ، فالأزرق ثم البنفسجي .. وهكذا دَوَالَيْك ..

وخيّل لقائد المقاتلات أن مقاتلاتهم تسبح فوق أمواج هادئة ، ترفعها وتخفضها بلا مقاومة ، فعاد قائدها يقول ، عبْر أجهزة الاتصال :

ـــ السّرب يتعرّض إلى سلاح جديد .. إن مقاتلاتنا تعجز

تماما عن الاستدارة ، لمواجهة الهدف .. كل الأجهزة تعمل فى انتظام ، كما تؤكد العدادات والمؤشرات ، ولكن المقاتلات ثابتة فى أماكنها ، تتموج فى رفق ، ولكنها لا تتقدم قيد أنملة ..

استمع القائد الأعلى إلى تلك الرسالة فى توتر بالغ ، وأجاب :

— فلتبدأ مدافع الليزر عملها ، ولتتقدم الدبابات نحو المدينة .

انطلقت مئات من مدافع الليزر نحو مقاتلة (بودون) ، التى توقفت عن الدوران فجأة ، وتألقت بضوء برتقالى قوى ، ثم انطلقت كشعاع من الضوء مبتعدة ، فأخطأتها كل طلقات الليزر ، وفقدت المقاتلات توازنها دفعة واحدة ، فتمايلت فى عنف ، وارتجت فى قوة ، وهوى بعضها نحو الأرض ، وارتطم البعض الآخر ببعضه ، وفقدت قواتنا الجوية فى لحظة واحدة أربعين مقاتلة أخرى ، على حين انقض (بودون) فى سرعة مذهلة على مدافع الليزر ، وأطلق من مقاتلته دائرة من ضوء أرجوانى ، هبطت فوق ثلاثين مدفعا ، فدكتها أرضا ، وسحقتها سحقا ، وحولتها إلى فتات ..

ثم اتجه (بودون) بمقاتلته نحو الدبابات الليزرية ، وهبط بالمقاتلة حتى صار ينطلق بها على ارتفاع متر واحد من الأرض ، وأطلق من مقدمتها دائرة ضوئية أرجوانية أخرى ، اندفعت فى

سرعة ، لتشق عشرات الدبابات كسكين حاد يشق قطعة من الزبد الطازج ، قبل أن تختفى وتتلاشى ..

وعاد (بودون) يرتفع بمقاتلته ، بنفس سرعته المذهلة ، وبزاوية قائمة تماما ، وهو يقول فى سخرية :

— لو أن هذه أفضل أسلحتكم ، فأنتم هالكون لا محالة يا أهل الأرض .

شعر القائد الأعلى ، وقادة الأسلحة ، بغصة فى حلوقهم ، وأيقنوا جميعا من استحالة النصر على ذلك الخصم المخيف ، وقال أحدهم فى يأس ، وهو يتابع ما يحدث على شاشته :

— لا فائدة .. سنفقد جيشنا كله ، لو استمر القتال لعشر دقائق أخرى .

غمغم القائد الأعلى فى إحباط :

— وماذا عن قنبلة البروتون ؟

أجابه القائد المسئول :

— ينبغى أن نعود إلى المدينة أولا ، وأن نسحب جيشنا كله ، و .....

لم ينتظر القائد الأعلى ليسمع باقى العبارة ، وإنما انحنى نحو جهاز التليفيديو ، وضغط زر الاتصال العام ، وهو يقول فى حزم :

— انسحاب تام .. فلينسحب الجميع من الميدان فى سرعة ونظام ، طبقًا للخطة (أ — ٧) .. أكرر .. انسحاب عام ..

تلقت أجهزة (بودون) هذا الأمر ، فابتسم فى سخرية، وتوقف بمقاتله فى السماء ، فوق منتصف ساحة مدينة (حورس) الرئيسية تمامًا ، وراح يراقب انسحاب القوات بعينين ظافرتين ، وهو يغمغم فى سخرية :

— تبًا للأوامر .. لقد كان بوسعى أن أتمّ الغزو وحدى ، ودون الاستعانة بالأسطول الإمبراطورىّ الفضائى ..

وأطلق ضحكة عالية ، أشبه بمطارق معدنيّة تتصارع فيما بينها ، ثم استطرد فى سخرية :

— إن هذا يحسم الأمر ، لقد انهزم كوكب الأرض ، وصار تابعًا لـ (أرغوران) .

* * *

خفقت قلوب (نور) ورفاقه فى يأس وألم ومرارة ، حينما شاهدوا تلك الهزيمة الساحقة ، التى مُنىَ بها جيش وطنهم ، فى مواجهة مقاتل واحد من (أرغوران) ، وبكت قلوبهم فى إحباط ، حينما انسحبت كل القوّات ، وعاد (بودون) يهبط بمقاتله وسط ساحة (حورس) ، ويغادرها فى زهو ، ثم يتقدم نحو (نور) ، قائلًا فى شماتة :

— إنها هزيمة كاملة .. أليس كذلك ؟

اختنق صوت (نور) ، وتحشرج ، وهو يقول :

— لماذا يسعى كوكبك لاحتلال الأرض ؟

بدا وكأن السؤال قد أدهش (بودون) ، الذى أجاب فى حَيْرة :

— ماذا تعنى ؟.. من الطبيعىّ أن يسعى الأقوى لاحتلال الأضعف !!

صاح (نور) فى مرارة :

— ولماذا لايعيش الجميع فى سلام ؟

ارتسمت علامات التفكير العميق ، الممزوج بحَيْرة بالغة ، فى ملامح (بودون) ، قبل أن يغمغم :

— سلام ؟!..

كانت الكلمة عجيبة — بالنسبة له — فلقد نشأ ونما فى كوكب محارب ، مقاتل ، لم يرِدْ فى قاموسه أى ذكر لكلمة (السلام) ..

كوكب لا يعرف سوى القوّة ، وسوى ضرورة أن يسيطر الأقوى على الأضعف ..

وفى فضول ، سأل (بودون) (نور) :

— ما الذى تعنيه بكلمة سلام ؟

أجابه (نور) فى مرارة :

— أن يتجاور الجميع فى وُدّ ، ويتبادلون الخيرات والخبرات و .....

قاطعه (بودون) فى حِدَّة :

ـــ وهل يحدث هذا على كوكبك ؟

غمغم (نور) :

ـــ إلى حَدٍّ ما .

صاح (بودون) فى غضب :

ـــ أنت كاذب .

ثم اعتدل مستطردًا فى صرامة :

ـــ لو أن كوكبك يعيش فى هذا السلام ، الذى تحدّث عنه ، ما كانت هناك ضرورة لتلك المهنة التى تمتهنها .. إن وجود أجهزة المخابرات يعنى وجود حرب دائمة .. إنك لن تخدعنى .

هتف (نور) فى يأس :

ـــ السلام لا يتعارض مع اتخاذ ما يلزم للدفاع عن النفس و .....

قاطعه (بودون) غاضبًا :

ـــ أنت كاذب .

ثم حملت نبراته صرامة شديدة ، وحزمًا هائلًا ، وهو يستطرد :

ـــ لا يتحدّث عن السلام سوى الضعفاء .. الضعفاء فقط ، أما نحن ، فى (أرغوران) ، فنحن لا نعرف سوى الحرب .. والنصر .. النصر وحده ..

* * *

شبّك القائد الأعلى أصابع كفّيه أمام وجهه ، واستند بمرفقيه إلى سطح مكتبه ، وهو يسأل قائد الجيوش المسئول ، عبْر جهاز التليفيديو :

ـــ هل تمّ سحب جميع القوات ؟

أجابه القائد المسئول :

ـــ كلّها ياسيّدى .

تنهّد القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـــ وماذا عن قنبلة البْروتون ؟

أجابه القائد المسئول فى حزم :

ـــ الطائرة التى تحملها تحلّق الآن ، فوق السُّحُب التى تغطّى سماء (حورس) تمامًا ، وتنتظر الأمر بإلقاء القنبلة .

ازدرد القائد الأعلى لُعابه ، وغمغم من أعماقه :

ـــ معذرة يا (نور) .. أعلم أننا سنضحّى بفريقك كله ، ولكن هذا هو الأمل الوحيد .. الأمل فى إنقاذ كوكب الأرض .

ثم رفع رأسه فى اعتداد وحزم ، وقال فى صرامة :

ـــ ألقِ القنبلة ، وليرحمنا الله جميعًا .

لم يكد يتم عبارته ، ثم تلقّت الطائرة الأمر ، وألقت القنبلة البروتونيّة فوق مدينة (حورس) .. وبدأت النهاية ..

* * *

١٠ — النهاية ..

ألقى (بودون) عبارته الأخيرة الصارمة فى وجه (نور) ، ثم أولاه ظهره فى حزم وبرود ، إلا أنه لم يلبث أن تسمَّر فى مكانه بغتة ، والتفت إلى (نور) ، يسأله جدّة :

— ما قنبلة البُروتون ؟

تطلَّع إليه (نور) فى دهشة ، عَبْرَ جدار الفقّاعة ، وهو يقول :

— لماذا تسأل ؟

صاح به (بودون) فى غضب :

— لقد تلقَّت أجهزتى الآن أمرًا ، موجَّهًا من قاعدتكم الرئيسية إلى طائرة ، تحلِّق فوق رءوسنا ، على ارتفاع عشرة كيلومترات ، منذ دقائق ، يطلب إلقاء قنبلة بُروتونيّة على المدينة ، فما هذه القنبلة ؟ وكم تبلغ قوتها ؟

تألقت عينا (نور) ، وأدرك ما يرمى إليه قادته ، ولم يخفه أن الموت يهوى فوق رأسه ورءوس رفاقه فى تلك اللحظة ، بل شعر بالارتياح ، لأن الأرض ستتخلّص من رسول الموت هذا ، فأجاب فى هدوء :

— لاتقلق يا (بودون) ، ستعرف جواب سؤالك بعد لحظات .

ومضت عينا (بودون) فجأة ، وهو يقول :

— بل لقد عرفت جواب السؤالين .. عرفته من المعلومات التى انتزعتها من عقلك .

وانطلقت من بين شفتيه ضحكته الساخرة ، الشبيهة بمقارع مطارق الفولاذ ، وهو يستطرد :

— ولكن المفاجأة ستكون من نصيبكم أنتم .

وفى قوّة ورشاقة ، اندفع نحو مركبته ، وقفز داخلها ، ثم انطلق بها فى سرعة مذهلة ، فاتسعت عينا (نور) فى ذُعر ، وهو يهتف :

— يا إلهى !!.. إن ذلك الوغد سيبتعد .. سينجو بنفسه ، ويتركنا نحن لنتلقّى قنبلة (البُروتون) .

وارتفعت عيناه وعيون رفاقه إلى السماء فى هلع ، ورأوها .. رأوا قنبلة (البُروتون) تهوى فوق رءوسهم ..

فوق رءوسهم تمامًا ..

* * *

هوت قنبلة (البُروتون) فى سرعة ..

قنبلة مستديرة ، تزن مائة كيلوجرام فحسب ، ولكنها تكفى لإبادة مدينة كاملة ..

بل دولة كاملة ..

ورأى (نور) ورفاقه الموت يقترب .. ويقترب .. ويقترب ..
وأدركوا أنها النهاية ..

نهايتهم هم ..

ولكن فجأة ظهر (بودون) ..

ظهر وهو ينطلق بمقاتلته نحو قنبلة (البروتون) فى سرعة وجسارة..

وتصوّر (نور) ورفاقه لحظة أنه سيرتطم بها ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد توقّفت مقاتلة (بودون) بغتة ، على قيد متر واحد من القنبلة ، ودارت حول نفسها فى سرعة مذهلة ، فتوقّفت القنبلة فى الهواء ، كما لو أن الزمن قد تجمّد بغتة ..

وفى بطء تحرّكت القنبلة نحو مقاتلة (بودون) ، التى انفتحت أسفلها فجوة كبيرة ، احتوت القنبلة داخلها ، ثم عادت تُغلق من جديد ..

لقد سرق الأرغورانى قنبلة (البروتون) ..

إنه لم ينتصر عليها فحسب ، بل اقتنصها أيضًا ..

وهنا .. هنا فقط ، فقد (نور) ورفاقه ، وفقدت الأرض كلها آخر أمل فى النصر ..

وفى عظمة وخيلاء ، عادت مقاتلة (بودون) إلى الساحة ،

واستقرّت فى هدوء ، وهبط منها (بودون) ، وعيناه تتألّقان فى ظفر وفخر ، ووضع قبضتيه فى وسطه ، وهو يواجه (نور)، قائلًا :

ـــ لا فائدة ..

شعر (نور) أن قدميه تعجزان عن حمله ، من فرط ما يشعر به من يأس وإحباط ومرارة ، فجلس فى قرار الفقّاعة ، على حين ضغط (بودون) أحد أزرار حزامه ، الذى يحوى وحده عددًا لا حصر له من الأسلحة والوسائل التكنولوجية الخفية ، فاندفعت فقّاعة (نور) نحو فقّاعة رفاقه ، وامتزجتا ، لتصبحا فقّاعة واحدة ، تضمّ الفريق كله ، ثم اقترب (بودون) من الفقّاعة الجديدة ، وهو يقول فى برود ظافر :

ـــ والآن .. استعدوا لبدء الرحلة .. سأحملكم إلى (أرغوران) ..

وفجأة .. تألّقت الفقّاعة ، وأحاطت بها ملايين من الشرارات الكهربية الصغيرة ، حجبت عن (نور) ورفاقه ما يحدث خارجها ، وخُيّل إليهم أن ضغطًا هائلًا يعتصر أجسادهم ، فتأوّهوا فى ألم ، واستمرّ الضغط والألم لحظات ، ثم هدأ كل شىء ، وتلاشت الشرارات الكهربية فى بطء ، ثم اتسعت عيون (نور) ورفاقه فى رُعب هائل ، وذهول رهيب ..

فأمامهم .. أمامهم تمامًا ، كان هناك زوج من العيون ، بحجم مدينة كاملة ..

عيون بنفسجية ، مشقوقة طوليًا ، كعيون الثعابين ..

عيون (بودون) ، الذى بدا لهم فى تلك اللحظة ، وكأنما تحوّل إلى عملاق هائل مخيف ، وهو يحمل الفقّاعة على راحته ، وبدا لهم وجهه ككويكب أحمر قانٍ ، تجرى فيه مئات الأنهار الزرقاء ..

ولكن نظرة واحدة على ما حولهم ضاعفت رُعبهم وذهولهم ، وأوقعت قلوبهم بين أقدامهم ..

إن (بودون) لم يتحوّل أبدًا إلى عملاق ..

لقد حوّلهم هم إلى أقزام ..

أقزام فى حجم عقلة الإصبع ..

وفى هدوء ، علّق (بودون) الفقّاعة ، التى صارت فى حجم كُرة صغيرة ، فى حزامه ، ثم اتجه فى ظفر نحو مقاتلته ..

لقد انتصر ..

انتصر تمامًا ..

* * *

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) فى ذُعر وذهول ، وانهار على المقعد المقابل لمكتب القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

— يا إلهى !!. مستحيل !. إذن فقد قلّصهم ، وحملهم معه !.

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا فى مرارة ، وهو يقول :

— نعم .. ولقد انطلق بمقاتلته مغادرًا كوكب الأرض ، ولحق بسفينته الأم ، وأظنه سيقلع بها عائدًا إلى كوكبه .

وتطلّع إلى شاشة جهازه لحظة ، قبل أن يستطرد فى يأس :

— بل لقد أقلع بها بالفعل ، وعادت أقمارنا الدفاعية إلى العمل ..

سالت دموع المرارة من عينى الدكتور (عبد الله) ، وهو يغمغم :

— إذن فقد فقدنا (نور) وفريقه إلى الأبد ..

أجابه القائد الأعلى فى حزن ..

ليت الأمر يقتصر على ذلك يا دكتور (عبد الله) .. لقد عاد ذلك الفضائى إلى كوكبه ، ليعلن عجزنا عن مجابهته ، وليقود أسطول الغزو ..

وزفر فى مرارة ، قبل أن يُردف :

— لقد فقدنا الأرض كلها يا دكتور (عبد الله) .. الأرض كلها ..

* * *

جلس (بودون) داخل سفينته الفضائية هادئًا ، وأمسك بين أصابعه مكعبًا أزرق اللّون ، وهو يقول :

— وهكذا أثبتت التجربة أن سكّان (سيتا ٣) ، الذى يطلقون عليه اسم (الأرض) لن يمكنهم التصدّى لغزونا أبدًا .. ولقد حصلت على عيّنة من أقوى أسلحتهم على الإطلاق ، والتى

يطلقون عليها اسم قبيلة (البروتون) ، وبعد أن يقوم علماؤنا بدراستها ، ستكون لدينا فكرة واضحة عن المدى الذى وصلت إليه تكنولوجيا الأرض .

أدار عينيه فى هدوء إلى كُرة شفافة صغيرة ، استقرّت داخلها أجسام (نور) وفريقه ، الذين أصبحوا فى حجم عقلة الإصبع ، وهم يتطلّعون إليه فى يأس واستسلام ، وعاد يستطرد بنفس البرود :

ــ وكذلك حصلت على أربع عيّنات لكائنات (سيا ٣) ، وأظنّ ــ بناء على التجربة ــ أنها أفضل العيّنات على الإطلاق ..

انتهى من إملاء تقريره على المكعّب الأزرق الرابع ، ثم وضعه إلى جوار المكعّبات الثلاثة الأخرى فى هدوء ، وأغلق عينيه وهو يسترخى فى مقعده ، داخل سفينته الفضائية ، التى انطلقت عبْر الفضاء والنجوم ، وهى تحمل (نور) وفريقه ، عائدة إلى كوكبه (أرغوران) ، الذى انتصر هذه المرّة أيضًا ..

انتصر فى معركة الكواكب ...



[انتهى الجزء الأوّل]

ويليه الجزء الثانى والأخير

(جحيم أرغوران)

رقم الإيداع ٣٢١٥